حكايات بحرية

تأليف: تشافدار آلادجوف
ترجمة: آنا عكاش

حكايات بحرية

حكايات بحرية

المؤلف: تشافدار آلادجوف
ترجمة: آنا عكاش
رسوم: بوريسلاف ستويف

حكايـات بحريـة / تأليف تشـافدار آلادجوف؛ ترجمـة آنا عكاش؛
رسـوم بوريسـلاف سـتويف . - دمشـق : الهيئـة العامـة السـورية
للكتاب ، ٢٠١٣. - ١٩٦ص: مص؛ ٢٤سم.

للأطفال .

١- ٨٠٨,٨٣ آ ل ا ح ٢- العنوان ٣- آلادجوف
٤- عكاش

مكتبة الأسد

إهـــــداء

في العـادة... لا أحـب كتابة الإهداءات لأنها تربكني..

لكن.. هذه المرة.. وددت إهداء هذه الترجمة لذكريات طفولتي البعيدة نسبياً عن الحرب إلى جيل الحـرب الجـديـدة.. على أمل أن يتمكن من تخطي رواسبها يوماً ما..

آنا عكاش

الثروات التي وصلت مع
القوافل إلى شواطئ
آسيا الصغرى

الصبي السعيد

حكاية إيرانية

منذ سنوات عديدة، عاش زوجان وطفلهما تحت قبة السماء الزرقاء، في كوخ على طرف الغابة. أمضى الصبي أيامه باللعب مع أقرانه، أو بالتنزه في الغابة. وفي الأمسيات كان أبوه يعلمه القراءة والكتابة. ذات يوم قالت له أمه:

– حان الوقت، يا بني، لتساعد أباك. ليس لدينا طعام اليوم. اذهب إلى البحر لاصطياد السمك.

أخذ الصبي شبكة الصيد واتجه إلى شاطئ البحر. رمى الشبكة في الماء وبعد مضي بعض الوقت أخرجها فرأى في داخلها سمكة صغيرة بألوان ثلاثة: ذهبي، أحمر وأزرق. نظرت السمكة إلى الصبي بحزن، وحدّثته بصوت بشري:

– أعدني إلى البحر، أيها الصبي! وسأعطيك مقصاً سحرياً مكافأة لك: كل ما تقُصُّهُ سيتحول إلى حقيقة.

أشفق الصبي على السمكة وأطلقها في البحر، فظهر في اللحظة نفسها مقص بين يديه.

التفت الصبي حوله فشاهد ورقة كبيرة صفراء تسقط من إحدى الأشجار، فأخذها

وقصّ منها قصراً. فجأة بدأ القصر يكبر ويرتفع إلى أن صار أعلى من الهضاب المجاورة. عندها جمع الصبي أوراقاً صفراء، خضراء، حمراء وبنّية وقصّ منها أشجاراً وأزهاراً فظهرت حول القصر حديقة كبيرة مليئة بالأشجار والأزهار المتفتّحة.

ركض الصبي إلى بيته، أخذ بعض الأوراق وقصّ منها ملابس لأمه وأبيه ولنفسه. فلبسوا الحرير والمخمل وانطلقوا للسكن في القصر، وباتوا أكثر ثراء من جيرانهم جميعاً.

دارت الأيام وانقضت، وبات الصبي يشعر بالضجر والحزن. كان يرغب في استعادة حريته ليركض حيثما يشاء، مثلما كان فيما مضى. لكن والديه كانا يمنعانه من الذهاب إلى الغابة أو الحقل والبحر خشية أن تطالبه السمكة باسترداد مقصها السحري. كما لم تكن تسمح له والدته بمصادقة أولاد الفقراء، ودائماً تقول له: «حافظ على ثيابك الجديدة، لا تستلق على الرمل! لا توسّخ نفسك، لا تفعل هذا ولا تفعل ذاك...» إلى أن ملّ الصبي حياته هذه.

ذات ليلة خرج من غرفته خفية، تسلق السور، وركض نحو البحر. توقف على الشاطئ، وصرخ بصوت عالٍ:

- أيتها السمكة، أيتها السمكة الذهبية، الحمراء والزرقاء! أين أنت؟ أتيت لأخبرك إنني لا أحتاج قصرك الذهبي! ساعديني أيتها السمكة، أعيدي إليّ حياتي السابقة!

ظل يصرخ إلى أن خرجت السمكة ذات الألوان الثلاثة، وقالت:

- فلتتحقق مشيئتك، يا صديقي! أنت الآن ثري ومعروف، لكن الثراء الذي لم يُكتَسَب بالعمل لا يجلب السعادة والفرح. حين تشرق الشمس في الصباح، ارم المقص في البحر وصفّر ثلاث مرات، وستعود سعيداً كما كنت في السابق.

مع أولى أشعة شمس الصباح، رمى الصبي المقص في البحر، صفّر ثلاث مرات، فلم يبق للقصر أي أثر.

حين عاد إلى بيته وجد أمه واقفة عند باب الكوخ القديم، تنتظر ابنها وتبتسم ابتسامتها الحنونة المعهودة، تلك الابتسامة التي كانت لها في الماضي.

القوقعة السحرية

حكاية صينية

عاش في قديم الزمان، في قرية صغيرة على شاطئ المحيط، صياد سمك ممشوق القدّ وجميل اسمه وانغ تشولين. يخرج في قاربه الصغير إلى المحيط مع الفجر، ويعود عند الغروب، ثم يبيع صيده لتجّار أغنياء. لكن السعادة لم تبتسم دائماً للصياد. ذات مرة لم يستطع وانغ تشولين صيد سمكة واحدة طوال نهاره. حين رمى الشبكة أول مرة، لم يصطد بها إلا قوقعة أعادها إلى الماء. وكلما رمى شباكه بعد ذلك، ظل يُخرج القوقعة نفسها حتى حلول المساء. كان يرمي القوقعة أبعد ما يمكن عن قاربه، بيد أنها تعود لتقع مراراً وتكراراً في شباكه.

في هذه الأثناء غربت الشمس وتكاثفت العتمة واسودّ المحيط. رمى وانغ تشولين الشبكة آخر مرة، وحين أخرجها تأكد من أن القوقعة موجودة فيها.

أدرك الصياد أخيراً أنه لن يستطيع التخلص من القوقعة، فأخذها وتفحّصها. كان المساء قد فرد عتمته، فلمعت القوقعة في الظلام وكأنها نجمة في ليلة دون قمر. وضع الصياد القوقعة في عبّه، وجدّف مبحراً نحو الشاطئ. كان الهواء العليل يبرّد ظهر وانغ تشولين، إلا أنه شعر بالقوقعة تدفِئَه.

وصل وانغ تشولين إلى بيته في وقت متأخر من الليل. وضع القوقعة في إبريق، واستلقى متعباً وجائعاً على السرير القاسي. أغلق عينيه، لكن النوم جافاه.

فجأة أضيء الكوخ بضوء باهر. نظر الصياد الشاب فرأى ضياء ينبعث من الإبريق الذي وضع فيه القوقعة. بعد قليل ظهرت في الضياء فتاة باهرة الجمال! اقتربت من الصياد وقالت:

- اسمي « راه». هل تريد أن أصبح زوجتك يا وانغ تشولين؟

كانت « راه « ساحرة القوقعة، أصغر وأجمل بنات آلهة لازورد البحر المئة. ولم يسبق أن غادرت الساحرات الأخوات قصرهن الكريستالي في جزيرة المرجان يوماً.

- هذا الجمال لن يأتي بالخير!- فكرت كثيراً آلهة لازورد البحر وهي تنظر في عيني «راه» المتأملتين.

كانت «راه» تحب الجلوس عند النافذة، وذات يوم شاهدت في المحيط زورقاً يحمل صياداً شاباً. كان ذاك وانغ تشولين. ومنذ ذلك الحين انتظرت «راه» كل يوم ظهوره، لقد أحبته لجماله ومهارته، لقوته ولطبعه المرح. وكيف لها ألا تحبه؟ فقد كان يرمي الشباك ويسحبها طوال اليوم ويغنّي في أثناء ذلك.

« إن كان جميع الفانين جميلين هكذا، محبين للعمل ومرحين، فلا شك في أن حياتهم رائعة!»- فكرت «راه» بغيرة وحلمت بطريقة تصل فيها إلى حيث البشر.

في إحدى الليالي غادرت «راه» القصر خفية، خرجت إلى حافة الجرف

الصخري، ثم تدحرجت إلى الماء بعد أن تحولت إلى قوقعة. وفي اليوم التالي وقعت في شباك وانغ تشولين وصارت في كوخه.

- أتريد أن أصبح زوجتك؟ - كررت «راه» سؤالها.

فرك وانغ تشولين عينيه، ونظر مجدداً إلى الضيفة.

- أهذا حلم أم يقظة؟- همس بشفتين جافتين.

عانقته «راه» ووضعت رأسها على صدره.

وهكذا عاش الصياد وانغ تشولين وزوجته الحسناء بسعادة، وقضيا الأيام يعملان ويغنيان.

❖❖❖

بحثت آلهة لازورد البحر عن ابنتها المختفية- ساحرة القوقعة- ثلاث سنوات كاملة. وأخيراً اقتفت أثرها وعلمت أن ابنتها تعيش في قرية صغيرة على شاطئ المحيط. لم تصدق آلهة لازورد البحر أن ابنتها سعيدة مع الصياد الفقير، بين البشر، وأمرتها بالعودة إلى القصر في

جزيرة المرجان قبيل الفجر، وإلا خرج المحيط عن شواطئه وأهلك جميع الناس.

لم يبق لـ «راه» خيار سوى الخضوع لإرادة والدتها.

عندما استيقظ وانغ تشولين صباحاً اكتشف غياب زوجته، فأدرك على الفور ما جرى. صعد إلى قاربه وبدأ يجدف بكل قواه نحو جزيرة المرجان.

غضبت آلهة لازورد البحر حين رأته. بدأت الريح تهب وغطت السماء غيوم رمادية كثيفة. هاج المحيط فقفز قارب الصياد على الأمواج وكأنه قشرة جوز. لكن وانغ تشولين لم يفكر بالتراجع.

في هذه الأثناء- في القصر على جزيرة المرجان- توسلت «راه» أمها والدموع في عينيها أن تكبح جماح العاصفة. لكن الدموع والتوسلات زادت في سعار غضب آلهة لازورد البحر. لمع البرق فوق القارب الهشّ وكأنه تنانين نارية، هزت ضربات الرعد السماء المخيّمة على البحر، لكن وانغ تشولين لم يخف. أخيراً أُنهِكت آلهة لازورد البحر، أما وانغ تشولين فأبحر سالماً نحو جزيرة المرجان. فوجِئت الآلهة بشجاعته وإرادته، وقوة حبه العظيم فتراجعت. انقشعت الغيوم، هدأت الريح، سكن المحيط وسطعت الشمس في السماء الزرقاء.

- اذهبي يا ابنتي!- قالت آلهة لازورد البحر.- اذهبي يا «راه»، يا ساحرة القواقع. اذهبي إلى من اخترته، اذهبي إلى البشر!

ابنة الصياد

حكاية من بورما

في قديم الزمان، عاش صياد سمك وزوجته وابنتهما الجميلة تشين على جزيرة. أحبت الأم ابنتها أكثر من الحياة نفسها، أما الأب فكان إنساناً شريراً لا يفكر بابنته مطلقاً.

في أحد الأيام انطلق الزوجان إلى البحر لصيد السمك. رميا الشباك ثلاث مرات، وفي المرات الثلاث أخرجاها فارغة. وفي كل مرة يقول الصياد بغضب:

- فلتتفُق أيها السمك الملعون!

في حين تقول الزوجة:

- ليتنا نصطاد ولو سمكة واحدة غداءً لابنتنا!

حين أخرجا الشباك مجدداً في منتصف النهار، شاهدا سمكة صغيرة تلمع فيها.

- لن نبيع هذه السمكة، سنتركها لابنتنا.- قالت الزوجة برضا.

- لا ينقصنا إلا هذا! - غضب الصياد. — أنا سآكلها!

رميا الشباك مجدداً فأخرجا سمكة أخرى.

- هذه السمكة لابنتنا.- قالت الزوجة.

- لن أفكر بذلك حتى!- صاح الصياد. — فلتطبخ لنفسها حساءً من الأوراق. سآكل هذه السمكة أيضاً.

ومرة أخرى رمى الصياد الشباك، فأخرج سمكة واحدة مجدداً.

- سأسلق هذه السمكة لابنتنا!- قالت الزوجة وانحنت لتأخذ السمكة.

- إياك أن تأخذيها!- صاح الصياد ودفع زوجته بقوة فلم تتماسك وسقطت في البحر.

لكن المرأة المسكينة لم تغرق، بل تحولت إلى سلحفاة بحر كبيرة. أما الصياد فعاد إلى القرية وأخبر الجميع بغرق زوجته. وظلت تشين المسكينة تبكي أمها الطيبة أياماً وليالي متتالية.

مر عام وتزوج الصياد من الجارة دون أن يخطر له أنها أكثر النساء شراً على وجه الأرض. وكانت لها ابنة قبيحة ومجدورة، حتى قرود الغابة تلتفت عنها كيلا تراها.

منذ الأيام الأولى كرهت زوجة الأب وابنتها القبيحة، تشين الجميلة النشيطة، فأجبرتاها على خدمتهما، وكانتا تشتمانها وتضربانها على الدوام.

ذات مرة، بعد أن ضربت زوجة الأب تشين، ذهبت الفتاة المسكينة إلى شاطئ البحر، جلست فوق حجر وبكت بمرارة. فجأة شاهدت تشين سلحفاة بحرية عند قدميها، تنظر إليها وتنهمر الدموع من عينيها أيضاً. عندها ركعت تشين على

ركبتيها، عانقت السلحفاة وقبّلتها. ومنذ ذاك اليوم صارت تذهب قبل غروب الشمس إلى شاطئ البحر حيث تنتظرها السلحفاة.

استغربت زوجة الأب اختفاء الفتاة كل يوم، فبدأت تراقبها. وحين شاهدت كيف تعطف ابنة زوجها على السلحفاة البحرية، ومقدار الحنان الذي تنظر به السلحفاة إلى الفتاة، عرفت على الفور من هي السلحفاة فقررت قتلها.

خبزت زوجة الأب أرغفة قاسية، وضعتها تحت فراشها واستلقت. وما أن دخل الصياد إلى الكوخ حتى بدأت المرأة بالتقلب من جانب إلى آخر. طقطقت الأرغفة اليابسة تحت الفراش، فأنّت وشكت المرأة الماكرة:

- ما إن أنقلب إلى جانبي الأيسر حتى تطقطق عظامي! أنقلب إلى جانبي الأيمن، تطقطق عظامي! سأموت قريباً آه آه آه! قريباً جداً سأموت، أوي- أوي- أوي!

- كيف أداويك؟ - سأل الصياد.

قالت له المرأة:

- يكفيني تناول ملعقة واحدة من حساء السلاحف البحرية لأتعافى. اذهب إلى الشاطئ، فالسلاحف موجودة هناك دائماً، يمكنك اصطياد واحدة.

ذهب الصياد إلى الشاطئ فرأى ابنته جالسة على الرمل وقربها سلحفاة كبيرة. تسلل الصياد إلى السلحفاة، ضربها بالمجداف فقتلها. بكت الفتاة بمرارة، اندفعت نحو السلحفاة الميتة، عانقتها وقبّلتها. لكن الأب دفع الفتاة جانباً، وضع السلحفاة على ظهره واتجه إلى البيت.

رأت المرأة زوجها يحمل السلحفاة الميتة، نهضت بسرعة عن الحصيرة وقالت:

- لقد تعافيت! ارم بهذه السلحفاة إلى الكلاب الجائعة.

فعل الزوج كما طلبت، انتظر حلول المساء ورمى السلحفاة على مشارف القرية. لكن ما أن اقتربت الكلاب من السلحفاة حتى ظهرت تشين، حملت السلحفاة بحنان إلى مكان ما قرب البيت، حفرت قبراً ودفنتها فيه.

بكت تشين بمرارة طوال الليل. وفي الصباح مع أول بزوغ للشمس، سمعت الفتاة رنين الأجراس. خرجت من الكوخ فرأت شجرة مانغو رائعة قد نبتت فوق القبر. كانت جميع ثمار هذه الشجرة من الذهب والفضة، يحرك الهواء الأغصان فترن الثمار برقة. وجميع أهالي القرية مجتمعون قرب كوخ الصياد يتفرجون على الشجرة العجيبة.

في هذه الأثناء سُمِع نباح الكلاب ونفير بوق الصيد يعلن عن اقتراب موكب الإمبراطور الذي سيمر قرب كوخ الصياد في طريقه إلى الأدغال لصيد الفيلة البرية. سأل الإمبراطور حين حاذى الشجرة العجيبة:

- من صاحب ثمرات المانغو الرائعة هذه؟

- إنها شجرة ابنتي أيها الإمبراطور الرحيم! – صاحت زوجة الأب. - هي زرعتها!

- أين ابنتك؟ - سأل الإمبراطور. – إنها تستحق مكافأة..

تقدمت ابنة الزوجة بسرعة، وانحنت بتحية.

- هل هذه شجرتك؟ - سأل الإمبراطور.

- شجرتي أيها الإمبراطور الطيب، إنها شجرتي..

- اقطفي لي عشر ثمرات مانغو فضية، وعشر ثمرات ذهبية وسأكافئك بسخاء.

هزّت ابنة الزوجة الشجرة، فلم تسقط ثمرة مانغو واحدة على الأرض رغم

الجهد الذي بذلته، حتى أن الثمرات توقفت عن الرنين. عندها تسلقت ابنة المرأة الشريرة الشجرة وقطفت المانغو عن الغصن، لكنها ما أن لمست الثمرة حتى ذبلت في الحال، جفت وتجعّدت.

عبس الإمبراطور وقال بغضب:

- اهبطي إلى الأرض أيتها الكاذبة. هذه ليست شجرتك. أريد أن أعرف من صاحب المانغو الفضية والذهبية؟

عندها تقدمت تشين وقالت:

- يا شجرتي! أعطني عشر ثمرات مانغو ذهبية وعشر ثمرات فضية.

ولم تكد تكمل قولها، حتى سقطت قرب قدميها عشر ثمرات ذهبية وعشر ثمرات فضية.

- أنت إذن صاحبة الشجرة الحقيقية!- هتف الإمبراطور وأمر خدمه أن يُجلِسوا تشين على فيله.

- ستذهبين معي إلى القصر، - قال الإمبراطور لابنة الصياد. - وبعد ثلاثة أيام سنحتفل بعرسنا.

ما أن غادر الإمبراطور وحاشيته، أخذت زوجة الأب فأساً وبدأت بقطع الشجرة ذات الثمرات الفضية والذهبية. وحين سقطت الشجرة، خرج من جوفها طائر وقواق طار في أثر الإمبراطور وحاشيته.

وفى الإمبراطور بكلمته، وأصبحت ابنة الصياد زوجته بعد ثلاثة أيام.

عرفت زوجة الأب بذلك وقررت التخلص من تشين التي تكن لها الكراهية. أمرت ابنتها بحفر حفرة عميقة وسط الكوخ، أما هي فذهبت إلى القصر. وما أن أتت المرأة الخبيثة إلى ابنة زوجها حتى عانقتها وقالت بصوت حنون:

- لقد اشتقنا إليك لدرجة أننا لا نستطيع العيش من دونك. تعالي لزيارتنا ولو لثلاثة أيام.

صدقت ابنة الزوج هذه الكلمات وانطلقت إلى قريتها. وما أن وصلتا إلى البيت حتى قدّمت لها زوجة الأب الضيافة، وعرضت عليها حلويات متنوعة، وفجأة.. أَوقعت ملعقةً في الحفرة.

- سأحضرها في الحال. - قالت ابنة الصياد وقفزت داخل الحفرة لتحضر الملعقة.

على الفور، أخذت زوجة الأب قِدراً فيه ماء يغلي وسكبته داخل الحفرة. لكن، قبل أن ينسكب الماء من القدر، وقوق طائر الوقواق ثلاث مرات خارج النافذة فتحول الماء المغلي إلى ماء عادي. اختفت تشين، وطار خارجاً من الحفرة طير «قِرلَّى» بدلاً منها.

مرت خمسة أيام فأرسل الإمبراطور خدمه لإحضار زوجته. قالت زوجة الأب لخدم الإمبراطور:

- أمرت سيدتكم أن تنتظروها عند تقاطع الطرق الأربعة.

انطلق الخدم إلى تقاطع الطرق الأربعة. فألبَسَت زوجة الأب ابنتها فستان تشين، غطت وجهها بوشاح حريري وقادتها إلى خدم الإمبراطور.

أجلس الخدم ابنة المرأة الشريرة باحترام على فيل مزين بالذهب، وانطلقوا مسرعين في طريق العودة.

كان الإمبراطور ينتظر عودة زوجته بنفاد صبر، آمراً خدمه بتسلق أعلى نخلة ومراقبة الطريق. وحين ظهر فيل مزين بالذهب على مسافة من القصر، ركض الخدم إلى الإمبراطور وصاحوا بفرح:

- افرح يا مولانا. ستعبر سيدتنا عتبة قصرك قريباً!

أسرع الإمبراطور السعيد لملاقاة زوجته. لكنه حين رفع الوشاح عن وجهها صاح بغضب:

- من أنت أيتها المرأة؟

- ألم تعرفني يا سيدي؟ أنا زوجتك المطيعة. - أجابت ابنة الزوجة.

- أنت تكذبين أيتها المرأة! – صاح الإمبراطور مجدداً. –وجه زوجتي الرائع يشبه زهرة الزنبق. أما وجهك فيشبه طريقاً وطأته الأفيال بأقدامها.

- آه يا مولاي، - قالت ابنة الزوجة.- ألمت بي مصيبة أثناء وجودي في القرية. لقد مرضت بالجدري فأصبح وجهي مجدوراً وبشعاً! ولكنك إن طردتني سأموت حزناً.

- لا، أنت لا تشبهين زوجتي، - قال الإمبراطور. – عينا زوجتي صافيتان، كبيرتان وهادئتان كالبحيرة عند الفجر. أما عيناك فضبابيتان وقلقتان.

- آه يا مولاي، خفت أن تتوقف عن حبي فبكيت وبكيت حتى تعكّرت عيناي.

- حسناً،- قال الإمبراطور.- زوجتي نسّاجة ماهرة. فإن كنتِ حقيقة تشين، انسجي لي قطعة قماش لصنع ثوب قبل حلول الصباح.

دخلت ابنة الزوجة إلى غرفة النسج وبدأت تبكي. فهي لم تفعل شيئاً في حياتها، وها هي الآن تنتظر خائفة أن تتكشف كذبتها.

فجأة دخل من النافذة طائر الـ «قِرلَّى». جلس على المغزل وصار يغزل الغزل بمهارة بمنقاره وقائمتيه. تلك كانت تشين التي سمعت كلمات زوجها الطيب، وقررت أن تغزل الغزل بنفسها، وتنسج قماشاً لثوب الإمبراطور لكي تدخل السرور إلى قلبه.

راقبت ابنة الزوجة عمل الطائر الصغير كالمسحورة. وحين أنهى الطير عمله، أخذت المخادعة المغزل وضربت به الطائر فقتلته. ثم نادت الطباخ وأمرته:

- اشوِ هذا الطائر وقدمه للإمبراطور على العشاء.

ثم أخذت القماش الجديد، وأسرعت إلى الإمبراطور قائلة:

- لقد نفذت أوامرك يا مولاي.

نظر الإمبراطور إلى القماش وانتابه العجب: فلا أحد يتقن النسج هكذا إلا تشين.

عندما جلس الإمبراطور إلى العشاء، قدم له الخادم طيراً مشوياً على طبق ذهبي.

قالت ابنة الزوجة:

- كان هذا الطائر الوقح يعيقني عن النسج فقتلته، وأمرت أن يقدموه لك على العشاء.

في هذه الأثناء سمع الإمبراطور من بعيد صوت وقواق حزين، ولسبب ما شعر بالشفقة على الطائر. فلم يأكله، وأمر الخادم أن يُبعد الطبق من أمامه.

- ارمه للقطط! — صرخت ابنة الزوجة للخادم.

حين أخرج الخادم الطبق سمع صوت الوقواق الحزين أيضاً. ولسبب ما شعر بشفقة كبيرة على الطائر، فلم يرمه للقطط بل دفنه قريباً من القصر.

في الصباح شاهد الخدم شجرة سفرجل كبيرة قرب القصر. استغرب الجميع كيف استطاعت شجرة كبيرة وجميلة كهذه أن تنبت خلال ليلة واحدة؟ وكان الخادم وحده يعرف أن طائر الـ «قِرلَّى» مدفون في هذا المكان.

في المساء مرت قرب القصر عجوز فقيرة. وحين جلست لتستريح في ظلال شجرة السفرجل وقعت قرب قدميها ثمرة سفرجل كبيرة.

- لقد أرسلت لي الآلهة عشاءً طيباً.- قالت العجوز، ثم أخذت الثمرة وذهبت إلى بيتها.

حين وصلت العجوز إلى بيتها لاحظت أن الثمرة خضراء تماماً.

- سأضعها في جرة فخار لتنضج.- قررت المرأة العجوز.

وهكذا فعلت.

في صباح اليوم التالي ذهبت العجوز إلى الغابة لإحضار الحطب. وحين عادت إلى البيت ذُهلت لأن الكوخ الفقير كان مرتباً بأكمله، الأرض مكنوسة والنار تتقد في الموقد. يا لها من أعجوبة؟ قررت العجوز أن تعرف من ساعدها. وفي صباح اليوم التالي تظاهرت أنها ذاهبة إلى الغابة، لكنها اختبأت خلف الباب.

ما أن أطل من النافذة شعاع الشمس الأول إلى الكوخ، خرجت فتاة صغيرة جداً من جرة الفخار. وفجأة بدأت تكبر حتى تحولت خلال دقيقة واحدة إلى امرأة شابة باهرة الجمال.

- إنها مولاتنا، زوجة الإمبراطور!- هتفت العجوز وركضت إلى القصر.

كان الطباخ أول من شاهدته في القصر.

- سيدي الطباخ،- صرخت العجوز،- أتوسل إليك تعال سريعاً إلى كوخي!

حين اقترب الطباخ من كوخ العجوز ونظر من شق الباب، لم يصدق عينيه حين شاهد زوجة الإمبراطور تكنس الكوخ الفقير.

أقنع الطباخ والعجوز تشين بالعودة إلى القصر. وحين رآها الإمبراطور هتف بفرح:

- أوه يا زوجتي لقد عدت رائعة الجمال مجدداً!

في هذه اللحظة أتت ابنة الزوجة. دفعت تشين وصاحت:

- أنا زوجة الإمبراطور ولستِ أنت! أنت الساحرة التي سرقت مني شكلي. آه يا زوجي، أصدر أمراً كي يرموها في قفص الفهود.

عندها قالت تشين:

- احكموا بيننا حسب التقاليد القديمة. أعطوا لكل واحدة منا سيفاً لنتنازل. وصاحب الحق هو المنتصر دوماً.

لم يجادل الإمبراطور، وأمر بإحضار سيفين أحدهما خشبي والآخر معدني. التقطت ابنة الزوجة على الفور السيف المعدني، أما ابنة الصياد فأخذت السيف الخشبي وقالت:

- الحقيقة أقوى من السيف. والسيف الخشبي يصبح في يدي صاحب الحق أكثر صلابة من الحديد!

لوحت ابنة الزوجة بسيفها وهوت بكل قوتها على زوجة الإمبراطور، لكن السيف لم يلحق أي أذى بتشين لأنه ما إن لمسها حتى صار أطرى من وبر البجع.

صرخ الجميع:

- ها هي مولاتنا الحقيقية! ها هي زوجة إمبراطورنا!

أيقنت ابنة الزوجة أن الحقيقة قد ظهرت فقررت أن تجري هاربة، لكن تشين رمت السيف الخشبي في أثرها، وما إن لمس المخادعة الشريرة حتى سقطت مقسومة إلى قسمين. وهكذا انتصرت العدالة.

ومنذ ذلك الحين عاش الإمبراطور وتشين في حب وتفاهم. سكن طائر الوقواق في بستانهما، يوقوق بفرح كلما رأى زوجة الإمبراطور. أحب الإمبراطور وتشين طائر الوقواق، فأمرا الخدم بإطعامه خيرة الحبوب من طبق ذهبي، وسقيه بماء النبع من إبريق فضي.

الأرنب المحظوظ

حكاية من كوريا

قد تتساءلون كيف ظهرت السلحفاة على وجه الأرض؟ اسمعوا إذن. في أحد الأيام حدثت مصيبة كبيرة في قاع المحيط العميق، فقد مرض التنين العظيم سيد البحر مرضاً شديداً. فحصت الفقمة، طبيبة البلاط، لسانه الطويل وضغطت على بطنه عبثاً، لأنها لم تتمكن من تشخيص مرضه العضال، وحارت فيما تصف له من قطرات وأدوية. كل يوم، كان التنين يضعف ويزداد انطفاءً وتسوء حاله أكثر بسبب الأدوية. وبدأ جميع أفراد حاشية البلاط بالسير على رؤوس أصابع أقدامهم والتحدث همساً كيلا يزعجوه. أما الضحك والابتسام فيعاقبان بالموت برمي المذنب إلى شاطئ البحر.

في إحدى المرات أتى الأخطبوط الناسك إلى القصر. لم يغادر الأخطبوط

العجوز مسكنه لسنوات، لكنه لمّا سمع بالمرض العضال الذي أصاب سيد البحار، مثل أمام التنين وقال:

- يا صاحب الجلالة! لن يستطيع الطبيب ولا الحاشية ولا الحكماء ولا العلماء تخفيف مصابك وتخليصك من المرض. لا أحد سواي يستطيع تقديم المشورة لك. في الماضي مرض جدي بالمرض ذاته، وقبل أن يموت بدقيقة أحضر له أحد الحكماء كبد أرنب حيّ فأكله وشفي. فليحضروا لك كبد أرنب حيّ يا صاحب الجلالة، وسيزول عنك المرض. الأرانب لا تسكن البحر بالطبع، ولكن على الشاطئ قريباً جداً من هنا، توجد أعداد كبيرة منها.

استمع التنين للأخطبوط وشعر بالحزن.

- أنا سيد جميع البحار والمحيطات، أُغرق السفن الكبيرة وترتجف أمامي الحيتان وأسماك القرش، أيعقل أنني لا استطيع اصطياد أرنب غبي!

حزن التنين يوماً وآخر، وفي اليوم الثالث أمر باستدعاء جميع أفراد حاشيته.

فكر أفراد الحاشية طويلاً في طريقة لاصطياد الأرنب، لكنهم لم يتوصلوا إلى حل. التزم المستشارون، الثرثارون في العادة، الصمت كأن أفواههم مليئة بالهواء. فجأة تكلم الحوت العظيم:

- يا سيدنا العظيم! كلِّفني باصطياد الأرنب وسآتي سريعاً بهذا الكسول إلى القصر.

تعجّب التنين.

- أشكرك أيها الحوت. لكن أخبرني يا خادمي الوفي ما خطتك لاصطياد هذا الحيوان؟

- الأمر بسيط جداً، - أجاب الحوت. - سأقترب من الشاطئ، أعثر على الأرنب، أبتلعه وأعود سابحاً.

– آه أيها الحوت، – تكدّر الملك.– رأسك كبير لكن عقلك صغير! كيف سأُخرج الأرنب من بطنك؟

صمت الحوت الحائر واختبأ خلف ظهور أسماك القرش، الحرس الشخصي للملك.

– إذن لا يعرف أحد من حكمائي طريقةً لإحضار أرنب تافه إلى قاع المحيط؟
– صرخ التنين فارتجف الحوت خوفاً.

عندها زحفت سلحفاة نحو التنين، وقالت بصوت هادئ:

– كلّفني باصطياد الأرنب يا سيدي. لدي أربع قوائم وأستطيع السير على اليابسة إضافة إلى السباحة. غداً سأذهب إلى الجبال، أعثر على الأرنب، أخدعه وأقوده إلى هنا.

فكر التنين وقرر: لتجرب السلحفاة الإمساك بالأرنب. إنها ماكرة. وليس عبثاً أن يشبه رأسها رأس الأفعى.

– خطتك رائعة! – هتف التنين.– اذهبي إلى الشاطئ على الفور. حياتي الآن رهن بك.

انهمكت السلحفاة، ودّعت أقاربها بتعجّل وصعدت إلى سطح البحر. لم يكن الشاطئ بعيداً. وطئت السلحفاة اليابسة وزحفت نحو الجبال. كانت مسرورة جداً لنيلها مثل هذا الشرف. ولو استطاعت إيصال الأرنب إلى قاع المحيط فسيجعلها سيد البحار مستشارته الأولى حتماً.

فجأة تذكرت السلحفاة أنها لم تر أرنباً في حياتها.

– يا لها من مصيبة!– همست السلحفاة.– لقد تعجّلت لدرجة أنني لم أسأل أحداً كيف يبدو شكل الأرنب. سأضطر للعودة إلى البحر.

زحفت السلحفاة عائدة نحو الشاطئ، نزلت إلى البحر وهبطت إلى القاع بالقرب من القصر. وكالعادة كان أفراد الحاشية يتجمعون هناك.

- أيها السادة،- سألت السلحفاة مهمومة.- هل سبق لأحدكم أن التقى بالأرنب؟

سُمِعَ ضحك في الحشد أطلقه سرطان كبير ذي عينين جاحظتين.

- لماذا تضحك؟- غضبت السلحفاة.- يا لها من وقاحة!

زحف السرطان جانبياً إلى السلحفاة وقال:

- إنني أسخر من جهلك.

- وهل التقيت أنت بالأرنب؟

- بالطبع! أنا أعرف الأرنب جيداً. لقد رأيته مرات عدة وأنا أتنزه عند الشاطئ.

- يا لك من محظوظ. أخبرني من فضلك كيف شكله؟

- وددت لو أخبرك لكن الجميع يعرف مدى سوء ذاكرتك. من الأفضل أن أرسم لك هذا الحيوان.

- كم أنا ممتنة لك أيها السرطان العزيز! لن أنسى لك لطفك حين أصبح المستشارة الأولى.

خبأت السلحفاة الرسم تحت قوقعتها واتجهت مجدداً إلى الشاطئ. وعلى الفور انطلقت إلى الجبال حيث يعيش الأرنب.

في هذا الوقت بالذات قرر الأرنب القيام بنزهة صغيرة قبل الغداء. وما كاد يقفز بضع قفزات حتى سمع أحداً يناديه.

- من يناديني؟- توقف الأرنب وسأل.

ظهرت السلحفاة من خلف صخرة. زحفت نحو الأرنب بجرأة، تفحصته من جميع الجهات، وبعدها سألت:

- اسمع.. هل أنت الأرنب؟

- أنا الأرنب!- قال الأرنب بزهو.- وأي نوع من الحيوانات أنت؟ أول مرة أرى حيواناً مثلك. من أين ولماذا أتيت إلى ديارنا؟

- اسمي السلحفاة. أسكن في قاع المحيط لهذا السبب لم ترني من قبل. لكنني اضطررت للمجيء إلى هنا اليوم في مسألة هامة.

- لكن كيف عرفت أنني الأرنب مادام لم يسبق لك أن رأيتني؟

- ببساطة شديدة، لدي صورتك.

أخرجت السلحفاة الرسم وأرته للأرنب.

- يا له من شبه!- هتف الأرنب.- يشبهني تماماً. من أين لك هذا الرسم؟

- أهداني إياه السرطان، أحد أفراد حاشية ملك البحار.

استغرب الأرنب.

- وما حاجتك إليّ أيتها السلحفاة؟

- عزيزي الأرنب، أتيت كي أنقل إليك دعوة سيدي ملك البحار الذي يدعوك لزيارته.

- أشكرك على الدعوة اللطيفة،- انحنى الأرنب بتحية.- لكنني لا أستطيع قبول الدعوة. ألا تعرفين أنني لا أعرف السباحة وأخاف من الماء كثيراً؟

- هراء!- قالت السلحفاة.- لا تشغل بالك. سأوصلك إلى قاع المحيط بسلام.

لكن الأرنب لم يكن يرغب مطلقاً أن يفارق الحقول التي ينبت فيها الملفوف بكثرة، والبساتين حيث اللفت الحلو والجزر الريان، وجحره الواسع المريح. لهذا سأل مجدداً:

- ألا تعرفين ما حاجة ملككم للقائي فجأة؟

- بالطبع أعرف، - بدأت السلحفاة بالكذب.- المسألة أن ملك البحار هو الأكثر طيبة وعدالة في العالم كله. يغرق في دموعه إن مرض أحد سكان مملكته. وقد عرف أطيب الملوك كم حياتك صعبة على الأرض. لقد بكى حين أخبره السرطان أن النسر ينقرك، والنمر يمزقك، والإنسان يطلق عليك النار. « استدعوه إليّ! – صرخ الملك من بين الدموع.- لن يمّسه أحد بأذى أبداً هنا في قاع المحيط حيث لا وجود للنسور وللبشر وللنمور!» ولهذا السبب أتيت من أجلك.- وهكذا أنهت السلحفاة الماكرة حديثها.

فكر الأرنب بكلام السلحفاة.

- إنها الحقيقة فعلاً! الجميع يطاردني على الأرض من حيوانات وطيور وبشر. وكم من مرة كنت على بعد شعرة من الموت. حتى في جحري لا أشعر بالأمان. لقد قررت! سأنطلق إلى قاع المحيط حيث الجميع طيبون ولطفاء.

- رائع! – فرحت السلحفاة.- دعنا لا نهدر الوقت. لنذهب حالاً.

- أجل، أجل! لنذهب حالاً.

انطلقت السلحفاة برفقة الأرنب صوب البحر. كان الأرنب يبتسم من السعادة، يقفز عالياً ويحرك أذنيه دون توقف. ورغم أن السلحفاة بذلت أقصى جهدها للإسراع، بدا للأرنب وكأنها تزحف بسرعة حلزون. لم يتحمل الأرنب وقال:

- اجلسي أيتها السلحفاة المحترمة على ظهري، وسنصبح بعد دقيقة عند شاطئ البحر. وهناك ستحملينني أنت، موافقة؟

- بالطبع! إنها المرة الأولى التي أطأ فيها اليابسة في حياتي وقد لاحظت أن السير على الأرض عذاب بعذاب.

امتطت السلحفاة ظهر الأرنب فركض باتجاه البحر مسرعاً وكأن الذئب يلاحقه. لم تكد السلحفاة تسحب رأسها إلى داخل درعها، حتى كانا قد وصلا إلى غابة الصنوبر الممتدة عند شاطئ البحر تماماً.

لم يسبق للأرنب أن شاهد البحر، فبدا له مخيفاً جداً. الريح قوية والأمواج تتكسر بصخب عند الشاطئ المنحدر.

- انظري كم البحر مضطرب أيتها السلحفاة. سنغرق في عاصفة كهذه بسهولة.- قال الأرنب مذعوراً.

- ما هذا الكلام!- ضحكت السلحفاة.- واضح أنك لم تزر البحر من قبل. إنه مضطرب عند السطح فقط، لكن ما أن تغطس حتى يهدأ كل شيء. اجلس الآن على ظهري ولا تقلق أبداً.

لكن الأرنب تباطأ. ولسبب ما شعر بالخوف من الغوص في لجة البحر. في هذه الأثناء ظهر الغرير يتهادى، وهو الصديق القديم للأرنب. تعجّب الغرير كثيراً من أن يلتقي بالأرنب بعيداً عن جحره هكذا.

- ماذا تفعل هنا؟- سأل الغرير.

سوّى الأرنب شاربيه بقائمته وقال بزهو:

- أخبرتني السلحفاة أن ملك البحار يريد التعرف إلي. إنني ذاهب إلى مملكته.

هز الغرير رأسه بغضب وصرخ بصوت عال:

- هراء! لن تستطيع العيش هناك يوماً واحداً.

- سخافة! من سيجرؤ على إيذائي في قاع البحر إن كان الملك نفسه يريد صحبتي؟

- لقد خدعوك. قاع البحر يعج بالوحوش. ستهلك. وتذكر أنك مهما صرخت طالباً النجدة فلن يستطيع أحد من أصدقائك مساعدتك. استمع إلى نصيحتي وأهرب بعيداً عن البحر وانس أمر السلحفاة.

كان الغرير يتكلم بإقناع وحميّة، فاضطرب الأرنب وقال للسلحفاة:

- أتعرفين أيتها السلحفاة، لقد تذكرت أنني تركت جرزة من الجزر الرائع في جحري، لذلك لن أستطيع مرافقتك إلى سيدك الآن.

ثم قفز ثلاث قفزات باتجاه الغرير، واتجها بتمهل إلى عمق الغابة.

صرخت السلحفاة بحزن:

- يا لها من مصيبة! كم سيحزن الملك! أنا الغبية نسيت أن أخبرك بالأمر الأهم. سيدنا عجوز لا أولاد لديه، وقد قرر أن يسلّم مملكته للأرنب الذكي..

يعلم الجميع كم طويلة أذنا الأرنب، وبالطبع لم تفته كلمة مما قالته السلحفاة في أثره، أما الغرير الثقيل السمع فلم يسمع شيئاً.

- اسمع أيها الغرير،- قال الأرنب،- اعتقد أنني سأزور ملك البحر لبعض الوقت لأنني أشعر بالفضول لمعرفة طريقة حياتهم هناك..

وقفز الأرنب عائداً إلى الشاطئ حيث تنتظره السلحفاة.

- لقد عزّ علي سيدك فقررت تنفيذ رغبته.- قال الأرنب.- إضافة إلى ذلك أخشى أن يغضب منك الملك إن عدت وحدك..

- ليتك قررت هذا من البداية!- فرحت السلحفاة.- هذا الغرير الغبي أخبرك بسخافات لأنه يغار منك. لننطلق إذن.

رمت السلحفاة بنفسها بين الأمواج بعد أن أجلست الأرنب المرتجف خوفاً على ظهرها. كانت السلحفاة تزحف بصعوبة على الأرض، لكنها سبحت في الماء بسرعة وثقة. وبما أنها تعرف الطريق جيداً فقد هبطت إلى القاع أمام القصر تماماً.

حين شاهد البوابان السلحفاة والراكب على ظهرها، أبلغا التنين على الفور بوصول الأرنب المرتقب. فتحت سمكتا القرش بوابات القصر أمامهما، فقادت السلحفاة الأرنب إلى العرش الذي جلس عليه ملك البحار.

- أيها التنين الطيب العظيم،- قالت السلحفاة.- لقد نفذت أمرك. أمامك أرنب حيّ. يمكنك أن تأكل كبده.

ما إن سمع الأرنب هذا الكلام حتى كاد يسقط مغشياً عليه. لكنه لم يكن راغباً بالموت على الإطلاق، فقال بلطف، لكن بصوت عال كي يسمعه الجميع:

- أيتها السلحفاة اللطيفة لِمَ لمْ تخبريني من البداية أن الملك الطيب يحتاج إلى كبدي؟

ضحكت السلحفاة:

- لو أنني أخبرتك لما وافقت على الذهاب معي.

- لم تتصرفي بحكمة أيتها السلحفاة. لو أنك أخبرتني لأعطيت للسيد الطيب عن طيب خاطر كبدين اثنين، وليس واحداً فقط. لن أبخل بشيء على الملك العظيم. لكنني لا أحمل الكبد معي أبداً، بل أحتفظ به في جحري. سنضطر الآن للعودة إلى اليابسة ومن ثم سنغطس إلى القاع مجدداً. كلها متاعب زائدة وذلك بسببك أيتها السلحفاة.

حين سمع التنين أن السلحفاة أحضرت له أرنباً من دون كبد غضب كثيراً، فالسلحفاة دائماً تنسى الشيء الأهم. عطس التنين ثلاث مرات، وكانت تلك إشارة إلى قمة غضبه، ثم زمجر:

- لماذا لم تخبري الأرنب عن حاجتي للكبد أيتها الغبية؟ عودي معه على الفور وآمرك أن تمثلي أمامي في المساء ومعك أرنب ذا كبد. وإلا أمرت سمكة القرش أن تأكلك.

جلس الأرنب على درع السلحفاة مجدداً وسبحا عائدين. وما إن وطئت السلحفاة الشاطئ حتى قفز الأرنب عن ظهرها وانطلق إلى الغابة.

- وداعاً أيتها السلحفاة الغبية!- صرخ الأرنب.- إن كنت تريدين كبدي فخذيه.

وقف على قائمتيه الخلفيتين وضرب بالأماميتين على بطنه. لكن السلحفاة لم تره. فكيف لها اللحاق بالأرنب؟ أدركت السلحفاة أنها لا تستطيع الاستخفاف بالتنين، ولا مفر أمامها من فكي القرش. فكرت طويلاً وقررت: « إن كان الأرنب الغبي يستطيع العيش على اليابسة فأنا أيضاً أستطيع ذلك».

وبقيت السلحفاة لتعيش على اليابسة فانحدرت منها سلالة جميع السلاحف البرية. أما الأرانب فلا تقرب شاطئ البحر منذ ذاك الوقت، ولا تتكلم مع السلاحف.

كيندزو المنتصر

حكاية يابانية

عاش في قديم الزمان على شاطئ أحد البحار صياد اسمه كيندزو سينوبو. وكانت ثروته في الحياة مكوّنة من كوخ مائل، قارب بال، وصنارة صيد من الخيزران.

في أحد الأيام الباردة العاصفة، قُرِعَ باب كوخ كيندزو، وحين فتح الباب شاهد عند العتبة عجوزاً هرماً.

- اسمح لي بالمبيت عندك،- طلب العجوز.- لقد سرت أياماً طويلة دون استراحة. أرجو أن تؤويني وتُسكِت جوعي.

تكدّر كيندزو:

- أيها العجوز المحترم، أنا فقير جداً وليس لديّ سوى سمكة واحدة لأقدمها

لك على العشاء.

وأشار إلى الموقد حيث يغلي شيء ما في القِدر.

- لكنك تسلق هذه السمكة لنفسك.- قال العجوز.

هنا كذب كيندزو لأول مرة في حياته:

- لقد تعشيت للتو وأشعر بالشبع،- بدأ يؤكد للضيف.- لا ترفض طعامي المتواضع، أتوسل إليك ألا تشغل نفسك بي.

بعد أن تعشى العجوز، هيأ له كيندزو حصيرته ليستلقي عليها، أما هو فاستلقى على الأرض العارية جائعاً.

في الليل، استيقظ كيندزو لسماعه أنين العجوز.

- ما بك؟ هل أنت مريض؟- سأل كيندزو بقلق.

- أشعر بالبرد، أشعر بالبرد الشديد! سأموت إن لم توقد النار على الفور.

« ماذا أفعل؟- فكر كيندزو.- لم يبق لدي حطب. أيعقل أنني لن أستطيع إنقاذ هذا الرجل المحترم وسيموت بسببي؟ «

أخذ كيندزو الفأس وأسرع إلى الشاطئ حيث يستلقي قاربه البالي. هوى الصياد بفأسه، وسرعان ما تحول القارب إلى كومة من الخشب. ثم عاد إلى البيت على الفور وأوقد النار.

حين أصبح الكوخ دافئاً نهض العجوز عن الحصيرة وقال:

- أشكرك، لقد تعافيت. أخبرني ما أقصى أمانيك في الحياة؟

أجاب كيندزو من دون تفكير:

- أريد أن يصبح جميع اليابانيين حكماء، شجعان، أصحاء، مرحين، وأن يمتلكوا ثروة كسبوها بعرق جبينهم، إضافة إلى المعرفة.

حين سمع العجوز هذه الكلمات قال:

- هذه الكنوز محفوظة في صندوق على قمة الجبل الذهبي يحرسها التنين الأزرق. حاول العديد من الشجعان صعود الجبل الذهبي، لكن الطريق صعب إلى هناك. تتربص آلاف المخاطر بكل من يحاول الحصول على هذه الكنوز!

- أنا لا أخاف شيئاً،- قال كيندزو.- أخبرني فقط أين يقع الجبل الذهبي؟

- اتجه جنوباً،- أجاب العجوز.- لكن تذكر: لن يصل إلى الجبل الذهبي إلا من يحب شعبه أكثر من نفسه، ذاك الذي لن يتراجع أمام الموت نفسه!

بعدها ودّع الضيف كيندزو واتجه نحو الباب. وعند العتبة التفت وقال:

- سنلتقي مرة أخرى!

انطلق كيندزو في رحلته باكراً في الصباح. سار عشرين يوماً نحو الجنوب كما أشار عليه العجوز. وفي اليوم الحادي والعشرين وصل إلى شاطئ نهر عريض تتكسر أمواجه بصخب على صخور الشاطئ.

فكر كيندزو: « كيف سأعبر إلى الضفة الأخرى؟ »، عندها شاهد على مقربة منه بيتاً، فأسرع إليه وسأل صاحبه:

- أيها السيد المحترم كيف أحصل على قارب لأعبر إلى الضفة الأخرى؟

- ماذا تقول؟- لوح صاحب البيت بيديه.- لم يسبق لأحد أن عبر هذا النهر. تياره سريع جداً والدوامات مرعبة، والموت يتربص بكل من يحاول العبور إلى تلك الضفة.

- عليّ أن أصل إلى هناك!- هتف كيندزو.

- لم يتمكن أي إنسان من عبور هذا النهر.- كرر صاحب البيت.

- لو أن لديّ قطعة من الحرير، لعبرت إلى الضفة الأخرى!- قال كيندزو.

- سأعطيك قطعة حرير، لكنني لا أفهم كيف ستعبر النهر.

أخذ كيندزو قطعة الحرير وصنع منها طائرة كبيرة، ثم طلب من صاحب البيت:

- رجاءً اربطني إلى الطائرة وطيّرها في الهواء. وحين تحملني الريح إلى الضفة الأخرى، سأقص الحبل وأقفز إلى الأرض.

حاول صاحب البيت إثناء الشجاع عن رأيه:

- قد تتحطم. الأفضل أن تبقى هنا وتعيش في بيتي. سأزوجك ابنتي الوحيدة الجميلة. وحين أموت سترث حقولي وغاباتي.

لكن قلب كيندزو كان يتقد بأمنية واحدة فقط، أن يُسعد شعبه. فقال:

- يقول المثل الياباني: «من يرغب في انتزاع الحجر السحري من التنين، عليه أن يدخل في معركة معه». ومن أخذ قراراً بإسعاد شعبه، يجب ألا يخشى على حياته.

- ليكن لك ما تريد.- قال صاحب البيت.

ربط صاحب البيت كيندزو إلى الطائرة فحلقت تحت الغيوم، وسرعان ما عبرت النهر العريض المضطرب. حين هدأت الريح هبط كيندزو، وما إن لمست قدماه الأرض حتى هتف بفرح:

- يجب ألا أضيّع دقيقة واحدة!

لم يكد كيندزو يخطو خطوتين حتى خرج نمر من خلف الشجيرات، وفي نفس

اللحظة سمع فحيحاً غريباً خلف ظهره، وحين التفت شاهد أفعى تزحف نحوه. لم يكن أمامه مخرج: أمامه نمر وخلفه أفعى وكلاهما يريد التهامه، ولم يكن في نية أحدهما التخلي عن فريسته للآخر. فجأة سُمِع هدير وهبط نسر كبير كالصخرة من السماء، أمسك به وارتفع عالياً. لم يعد كيندزو يرى الأرض، فأدرك أن النسر يحمله إلى عشه كي يفترسه هناك.

حين بدأ النسر هبوطه، شاهد كيندزو في الأسفل محيطاً صاخباً وصخوراً قرب الشاطئ. عدة خفقات أجنحة وسيصيران في عش النسر. فجأة لاحظ النسر أن قرداً تسلل إلى عشه كي يأكل فراخه فأطلق صرخة حادة، فتح مخلبيه مفلتاً كيندزو، ثم هجم على القرد.

سقط كيندزو إلى الماء، وحملته الأمواج الكبيرة إلى المحيط.

« معقول أن أهلك قبل أن أحصل على السعادة لشعبي؟» – فكر بأسى.

في هذه الأثناء، شاهد كيندزو حوتاً قربه فسبح نحوه بعد أن استجمع قواه الأخيرة وتسلق ظهره، تمدد عليه متعباً، ولم ينتبه كيف غفا. سرعان ما ملّ الحوت العملاق من الاستلقاء، وانطلق في طريقه نافثاً نافورة من الماء. حين استيقظ كيندزو، كان الشاطئ أمامه، فألقى بنفسه في الماء على الفور وسبح. وما إن اطمأن إلى ملمس الشاطئ الرملي تحت قدميه، حتى سقط مغشياً عليه من التعب والجوع.

ظل كيندزو مستلقياً على الرمل إلى أن شاهده صبي يرعى ثوراً عند الشاطئ. لوّح الصبي لكيندزو بالمروحة ففتح عينيه، لكنه لم يستطع الوقوف. عندها ساعده الصبي بالجلوس على الثور، واتجه إلى حرش خيزران أخضر قريب.

كان هناك بيت واسع عند طرف الحرش. خرج صاحب البيت وسأل الصبي:

– من أحضرت معك؟

- وجدت هذا الشخص مغشياً عليه على الشاطئ قرب المحيط يا أبي، فساعدته.

أثنى الأب على الصبي، وساعد كيندزو في الدخول إلى البيت حيث أطعمه وتركه لينام.

نام كيندزو طويلاً، وحين استيقظ دخل والد الصبي إلى الغرفة وسأل:

- أخبرني إلى أين أنت ذاهب أيها المحترم؟

- إلى قمة الجبل الذهبي لأحصل للشعب على الحكمة، الصحة، الثروة، المعرفة، الشجاعة والمرح.

- سمعت عن هذا الجبل. لكن لا تذهب إلى هناك إن كانت حياتك غالية عليك. فلم يعد أحد من ذاك المكان حياً. ابق في بيتي الوقت الذي تريد.

- لا!- اعترض كيندزو.- لا تحاول إقناعي. مادمت حياً فلن يستوقفني شيء في منتصف الطريق.

وأكمل كيندزو رحلته إلى الجنوب.

عَبَر سهباً خالياً، سبح عَبْر بحيرة كبيرة، اجتاز غابة كثيفة وشاهد أمامه صحراء لا نهاية لها. سار كيندزو ثلاثة أيام عبر الصحراء الملتهبة يكاد يموت من الجوع والعطش. وفي اليوم الرابع شاهد قمة الجبل الذهبي في البعيد.

ركض كيندزو فرحاً نحو الجبل وخلال نصف يوم وصل إلى سفحه. ومن دون تباطؤ، بدأ يتسلق نحو القمة. لكن لم يكد يخطو عشر خطوات حتى سمع صوتاً مرتفعاً من مكان ما في الأعلى:

- إياك أن تخطو خطوة واحدة وإلا لقيت حتفك.

لم يخف كيندزو واستلّ سيفه مندفعاً إلى الأمام. فجأة أحاطت به كلاب

مخيفة، فاتحة أفواهها وعيونها تقدح شراً.

ومن الأعلى سمع الصوت الهادر مجدداً:

- عد أدراجك، ولن تلحق بك الكلاب الأذى. لكن إن تقدمت خطوة أخرى، فستمزقك الكلاب إرباً.

ضرب كيندزو بسيفه أحد الكلاب فهرب لاوياً ذيله. أما الكلاب الأخرى فعَوَت وطقطقت بأسنانها. ضرب كيندزو كلباً آخر فلوى ذيله أيضاً ولاذ بالهرب.

عندها أدرك كيندزو أن هذه الكلاب تخيف فقط من يهرب عند رؤيتها. اندفع الشاب إلى الأمام فأنّت الكلاب الشرسة بحزن واختفت.

لكن الاختبار لم ينته عند هذا الحد. لم يكد كيندزو الشجاع يخطو عدداً من الخطوات حتى ركضت نحوه فتاة جميلة فاتحة ذراعيها وهي تصرخ:

- أنقذني! أنقذني!

- من تجرأ على إيذائك؟- سأل كيندزو.

- هربت من التنين الأزرق. إنه يطاردني، ساعدني.

- لا تخافي، سأحميك!- قال كيندزو بصوت عال ورفع سيفه.

- لا يستطيع أي سيف صرع التنين الأزرق. لكن بالقرب من هنا، يوجد كهف سكنت فيه الآلهة يوماً. والتنين الأزرق لا يدخل هذا الكهف أبداً..

- لنسرع إلى هناك إذن!- فرح كيندزو.

اندفعت الفتاة إلى الأمام ولحق كيندزو بها.

حين دخل كيندزو إلى الكهف اضطرب دهشة لبعض الوقت. فقد شاهد وسط الكهف طاولة عليها أطايب طعام كثيرة وأباريق الخمر.

- لقد اهتمت الآلهة الطيبة بنا!- صرخت الفتاة بفرح.- انظر إلى هذا الطعام الرائع وإلى هذه الخمور العطرة التي تركوها لنا.

أجلست الفتاة كيندزو على حصيرة بيضاء وبدأت باستضافته. كانت تصب له تارة من إبريق، وتارة من آخر. لم يسبق لكيندزو أن شرب خمراً لذيذاً كهذا في حياته وسرعان ما غط في النوم. حين استيقظ أخيراً كاد يموت من الرعب، فقد وجد نفسه مقيداً بسلسلة ثخينة إلى جدار المغارة، أما الفتاة فلم تكن موجودة. عندها أدرك كيندزو أن التنين الأزرق الماكر اتخذ هيئة الفتاة واستدرجه إلى الكهف، ثم أسكره وقيده إلى الجدار أثناء نومه. انتظر كيندزو مجيء التنين المرعب مستلقياً في الكهف، لكنه لم يظهر.

مر وقت طويل جداً منذ أن استيقظ كيندزو مقيداً إلى جدار الكهف. أضناه الجوع والعطش، وذابت قواه مع مرور الأيام. وعندما فقد الأمل واستعد للموت عوت الريح فجأة، اهتز سقف الكهف وظهر التنين الأزرق أمامه. كان وحشاً مخيفاً! له رقبة أفعى، رأس حصان كبير بأذنيّ ثور، بطنه وظهره مكسوان بحراشف زرقاء.

- لن ألحق بك الأذى إن وافقت على العودة من حيث أتيت!- زمجر التنين.- وإن لم توافق سأُميتُك جوعاً.

- مادمت حيّاً، لن أتنازل عن حلمي في إسعاد شعبي.- أجاب كيندزو.

فتح التنين فمه فامتلأ الكهف بدخان نتن. عوت الريح مجدداً واهتز السقف الحجري. وحين تلاشى الدخان اختفى التنين واندفع إلى الكهف عشرة شياطين قال كل منهم لكيندزو:

- وافق على العودة من حيث أتيت وسنعطيك ذهباً بقدر ما يمكنك أن تحمل.

أجاب كيندزو كلاً منهم:

- أفضل الموت على العودة إلى بلدي من دون أن أصل إلى هدفي!

عندها أمسك الشياطين بسياط حديدية وبدؤوا يضربون كيندزو. وبعد كل ضربة يسألونه:

- سترحل من هنا؟

وكل مرة يجيب:

- لا!

لم تتمكن الشياطين من الوصول إلى مأربها فأسرعت إلى سيدها.

اندفع التنين الأزرق إلى الكهف وهو يزأر بغيظ. مزق السلسلة التي تقيد كيندزو إلى الجدار، جرّه إلى شلال كبير ورماه في الهاوية. اختفى كيندزو في تيار الماء العنيف، لكن التنين أخرجه على الفور وقال:

– عد من حيث أتيت وسأعطيك لؤلؤاً بقدر ما تستطيع أن تحمل. موافق؟

– لا!– صرخ كيندزو.– لا!

– حلت نهايتك إذن!– زأر التنين بجنون.

ربط التنين كيندزو إلى شجرة صنوبر عالية، وعلق فوق رأسه صخرة كبيرة محمولة بمئة حبل. ثم قال:

– هذه الصخرة محمولة بمئة حبل. سأقطع حبلاً واحداً مع كل ثانية تمرّ. وإن لم تعترف بخسارتك بعد مرور مئة ثانية، ستحطم هذه الصخرة رأسك.

مرت تسع وتسعون ثانية وهو يقطع حبلاً بعد الآخر، وبقيت الصخرة الآن معلقة بحبل واحد فقط.

– للمرة الأخيرة أسألك: سترحل من هنا أم لا؟– صرخ التنين.

- لا!- أجاب كيندزو مجدداً.- لا!

- الموت لك!- صرخ التنين بغضب ولوح بسيفه كي يقطع الحبل الأخير.

في هذه اللحظة سُمِعَ صوت مهيب:

- توقف!

رفع كيندزو عينيه فشاهد قرب التنين العجوز الذي أخبره عن الجبل الذهبي، وعن الصندوق الذي يحتوي منافع البشر. كان العجوز يرتدي ملابس حريرية حمراء ويمسك عصا ذهبية في يده اليمنى. لم يلتفت التنين إليه، وقطع بسيفه الحبل الأخير الذي يحمل الصخرة الكبيرة. لكن العجوز- وهو ساحر عظيم في حقيقته- لمس الصخرة بالعصا الذهبية، فسقطت قرب قدمي كيندزو المقيد إلى الصنوبرة.

- سأقطّعك!- صرخ التنين وانقض على الساحر نافثاً النار.

لكن الساحر تحول إلى عملاق عظيم. وحين رأى التنين ذلك، تحول إلى أسد. عندها عاد الساحر إلى هيئته السابقة، رفع عصاه السحرية فانهمرت سهام حادة على الأسد من خلف الغيوم.

قفز الأسد في مكانه وهو يزأر متألماً واختفى.

- لقد انتصرتَ على التنين الأزرق!- صرخ كيندزو المقيد إلى الشجرة.

أخرج الساحر مرآة دون أن يقول شيئاً، وضعها على الأرض فانعكس فيها ما يجري خلف الغيوم. عندها شاهد كيندزو التنين في السماء وهو يصوب سهماً مسموماً إلى الساحر. رفع الساحر العصا الذهبية إلى السماء مجدداً، فسقط

التنين على الأرض. لكن ما إن لامس الأرض حتى تحول إلى ذئب ولاذ بالهرب. وعلى الفور تحول الساحر إلى نمر وانطلق يطارد الذئب. تحول الذئب أثناء ركضه إلى صقر، عندها تحول الساحر إلى نسر عظيم. لكن في اللحظة التي كاد فيها النسر يبلغ الصقر، ضم الصقر جناحيه وسقط في العشب، تحوّل إلى خلد وَفَرَّ عميقاً داخل الأرض. عندها تحول النسر إلى خنزير بري وبدأ يحفر جحر الخلد. خرج الخلد من تحت الأرض وتحجّر. تدحرج الحجر من قمة الجبل إلى الأسفل. فعاد الساحر إلى هيئته وضرب الحجر بعصاه الذهبية فتحطم إلى قطع صغيرة. طارت قطع الحجر في الهواء وتحولت إلى ذباب سام. نثر الساحر حفنة رمل، فحلق سرب من العصافير في الهواء. اصطادت العصافير كل الذباب، ولم تسلم سوى ذبابة واحدة رآها كيندزو حين ارتفعت عالياً في السماء. لحظة واحدة فقط وكادت تختفي خلف الغيوم. لكن الساحر نفخ على الغيوم فاكتست السماء بشبكة عنكبوت.

شاهد كيندزو الذبابة تعلق في الشبكة، وكلما قاومت أكثر زاد التصاقها. رمى الساحر الذبابة بالعصا الذهبية فتحولت إلى التنين الذي سقط من ارتفاع شاهق إلى الأرض فتكسّر ومات.

عندها فك الساحر وثاق كيندزو وقال:

– لم ترحم نفسك لتجعل شعبك سعيداً لذلك أتيت لمساعدتك. لم تخش الموت ولم تتخل عن أمنيتك ولذلك لم تستطع قوى الشر إهلاكك. اذهب إلى قمة الجبل الذهبي. أصبحت طريقك إلى هناك خالية.

نسي كيندزو الفَرِح تعبه وأسرع إلى القمة. وهناك شاهد الصندوق المنشود، فأخذه وركض به إلى الأسفل.

سار كيندزو النهار والليل عائداً إلى بيته، مسرعاً في العودة إلى اليابان كي يمنح شعبه كل المنافع الإنسانية. وما إنْ وطأ أرض بلده حتى فتح الصندوق على الفور.

يقولون أن الحكمة، الصحة، الثراء، الشجاعة، المعرفة والمرح ما تزال موجودة على الأرض، لكن لا يستطيع الحصول عليها إلا من يؤثر سعادة ونجاح شعبه على نفسه.

بونيا وأسماك القرش

حكاية من هاواي

في هذا الجانب من الجزيرة كان يسكن كاي- آلي- آلي العظيم، ملك أسماك القرش، في مغارة تحت الماء، مليئة دائماً بالسرطانات البحرية. كان الصيادون يخشون كثيراً من كاي- آلي- آلي القاسي وأتباعه، ولم يجرؤ أحد منهم على الغطس إلى المغارة لصيد السرطانات البحرية.

كان يسكن في تلك الجزيرة أيضاً صبي اسمه بونيا. مات أبوه ذات يوم بسبب أنياب سمكة قرش، فلم يعد هناك من يصطاد السمك له ولأمه. ومنذ ذلك

الحين اضطرا إلى نسيان طعم السمك لفترة طويلة، وصارا يأكلان الخبز على الفطور، الغداء والعشاء.

كانت أم بونيا تشكو كل يوم من عدم وجود السمك والسرطانات البحرية بل الخبز فقط على مائدتهما، فقرر الصبي أن يخدع أسماك القرش.

ذهب بونيا إلى المغارة وراقبها. وما إن أحس كاي- آلي- آلي وعشرة من أتباعه بوجود إنسان على الشاطئ حتى استيقظوا على الفور. لكن بونيا تظاهر أنه لا يلاحظ ذلك، وبدأ يتكلم بصوت مرتفع مدركاً أن أسماك القرش ستسمعه بالتأكيد.

- هذا أنا بونيا!- قال.- عليّ أن أصطاد سرطانات بحرية للغداء. وكما أرى فإن كاي- آلي- آلي العظيم نائم. إذن أستطيع أن أغطس إلى قعر المغارة وأمسك بسرطانٍ في كل يد، فيصبح لدينا غداء لذيذ.

عندها همس كاي- آلي- آلي لأتباعه:

- اتبعوني! سيغطس بونيا الآن وسنأكله!

ولكن بونيا لم يكن من النوع الذي يقع بسهولة بين أنياب أسماك القرش الغبية. رفع الصبي حجراً كبيراً ورماه في الماء. لم يكد الحجر يصل إلى القاع حتى اندفعت جميع أسماك القرش نحوه، وأصبح مدخل المغارة خاوياً. عندها غطس بونيا، أمسك بسرطان في كل يد، وعاد سريعاً نحو السطح. وصرخ بعد أن خرج إلى الشاطئ:

- كما قال بونيا فعل! لقد حصلت على سرطانين، وعدت دون أن يلحقني الأذى. لن نجوع مجدداً. شكراً لسمكة القرش ذات الذيل الرفيع، هي التي أرشدتني إلى طريقة الإمساك بالسرطانات.

أمر كاي- آلي- آلي، ملك أسماك القرش، أتباعه أن يصطفوا أمامه بعد أن سمع هذه الكلمات. عدّ أسماك القرش- عشرة بالضبط، وذيل العاشرة تحديداً أرفع من الأخريات.

- إذن أنت يا رفيعة الذيل علّمت الصبي طريقة الإمساك بالسرطانات؟ ستدفعين حياتك مقابل ذلك.- صرخ بغضب.

وبإشارة من كاي- آلي – آلي، تم تمزيق سمكة القرش ذات الذيل الرفيع بلمحة عين.

- آه منكم! تأكلون بعضكم بعضاً!- صرخ الصبي وحمل السرطانين إلى البيت.

أكل بونيا وأمه من لحم السرطانين أياماً، ولما انتهى اللحم ذهب الصبي الماكر إلى المغارة مجدداً. ومنذ ذلك الحين والقصة ذاتها تتكرر. يرمي بونيا حجراً في الماء بعيداً عن باب المغارة، ويغطس ليجلب السرطانات عندما تندفع الضواري نحوه. وفي كل مرة، تأتي نهاية إحدى أسماك القرش. وهكذا لم يبق على قيد الحياة سوى الملك كاي- آلي- آلي. عندها ذهب بونيا إلى الغابة، قطع قصبتين متينتين وشحذهما من كلا الطرفين، ثم جهّز خشبتين مسننتين لإيقاد النار، وجمع الطحالب والقش. وضع كل ذلك في كيس وانطلق إلى الشاطئ. لاحظ بونيا حين وصل إلى المغارة أن كاي- آلي- آلي متيقظ في مكانه، فتكلم بصوت عال:

- إن غطست الآن وبدأ كاي- آلي- آلي بتمزيقي إرباً سيحمرّ الماء من دمي، وستعرف أمي بما حصل وتنقذني. لكن إن ابتلعني كاي- آلي- آلي كاملاً فسينتهي أمري. سأهلك.

بالطبع سمع كاي- آلي- آلي كلامه وقال لنفسه: «لا. لن تخدعني هذه المرة! لن أمزقك إرباً أيها الصبي الماكر. سأبتلعك كاملاً ولن ترى أمك مجدداً. سأفتح فكيّ لدرجة أنك لن تلاحظ حتى أنك صرت بينهما. لن تفلت مني هذه المرة.»

غطس بونيا مع كيسه. أما كاي- آلي- آلي ففتح فكيه على اتساعهما وابتلع الصبي. فتح بونيا الكيس من دون إبطاء، أخرج القصبتين ووضعهما بين فكي القرش كيلا يستطيع إغلاقهما مجدداً.

بعد ذلك زحف بونيا إلى معدة القرش، أخرج من الكيس الخشبتين المخصصتين لإيقاد النار وبدأ يحكهما الواحدة بالأخرى. أوقد ناراً وطبخ لنفسه حساء. كانت النار تحرق جوف ملك أسماك القرش الذي جاب المحيط كالمجنون. وأخيراً عاد كاي- آلي- آلي مجدداً إلى الجزيرة. عندها قال بونيا:

- إن أخذني كاي- آلي- آلي إلى الرأس الصخري سأنجو. وإن أخذني إلى الشاطئ الرملي حيث ينبت العشب، لن يستطيع شيء إنقاذي وسأهلك.

فكر كاي- آلي- آلي بعد أن سمع كلماته: «يمكنك أن تحلم، لكنني لن أسبح إلى الرأس الصخري. سأحمل هذا الصبي إلى الشاطئ الرملي حيث ينبت العشب». وكما قال فعل. سبح ملك أسماك القرش إلى السطح واندفع إلى المياه الضحلة حيث ينبت القصب بكثافة، ولا تقترب أسماك القرش من ذاك المكان في العادة أبداً. وسرعان ما علق كاي- آلي- آلي بين القصب الكثيف حتى ما عاد قادراً على العودة إلى المحيط.

خرج بونيا من فك القرش، وحين وصل إلى الشاطئ صرخ بملء صوته:

- أيها الناس! أيها الناس! لقد أتى لزيارتنا كاي- آلي- آلي العظيم، ملك أسماك القرش.

حين سمع الصيادون أن كاي- آلي- آلي، ألد أعداء البشر، قد أتى إليهم بإرادته أسرعوا يحملون الرماح والسكاكين وانقضوا عليه. هنا حانت نهاية ملك

أسماك القرش الشرس. ولم تعد هناك حدود لفرحة الصيادين حين علموا أنهم تخلصوا من جميع أتباع كاي- آلي- آلي الذين سكنوا مع ملكهم في المغارة تحت الماء.

ومنذ ذلك الحين يغطس بونيا كل يوم إلى المغارة آمناً، يحمل من هناك السرطانات التي يحتاجها.

القوقعة السوداء

حكاية من الهند

في قديم الزمان، عاشت عجوز فقيرة عند شاطئ البحر. كانت تسكن في كوخ مائل وبالٍ لدرجة أن عدم انهياره حتى ذاك الوقت بدا كمعجزة. لم يكن للعجوز أولاد ولا أقارب، ولم يهتم بها أحد. وكيلا تموت جوعاً كانت تجمع الأسماك الصغيرة التي تقذفها الأمواج إلى الشاطئ، وتتغذى بها. لكن حين تهب العواصف، لم تجرؤ العجوز حتى على الخروج من الكوخ، فكيف لها بالذهاب

لإحضار السمك من الشاطئ؟ فتبقى جائعة أياماً طويلة، ولا تخرج إلا حين يهدأ البحر، وتطل الشمس خجلة من بين الغيوم الممزقة، عندها تجمع الكثير من القواقع، الأسماك وقطع الخشب التي قذفتها الأمواج إلى الشاطئ.

في إحدى الليالي هبت عاصفة مخيفة. انهمر المطر وزأر البحر، لمع البرق في السماء، واهتزت الأرض من قصف الرعد، وكأن نهاية العالم قد حلت.

اندست العجوز في زاوية كوخها البارد الرطب وانتظرت حتى يهدأ الطقس العاصف. فجأة سمعت قرعاً على الباب حين هبت ريح قوية كادت تهدم الكوخ البائس. خافت العجوز حتى الموت، لكنها فتحت الباب، فقد يكون هناك من يحتاج للمساعدة والمأوى. لكنها لم تجد عند عتبة الباب سوى قوقعة سوداء كبيرة، يتدفق نور ساطع يعمي الأبصار من الشق الضيق بين مصراعيها. أخذت العجوز القوقعة، وضعتها على الطاولة، وعادت كي تغلق الباب. وهنا سمعت صوتاً عميقاً:

- لا تغلقي الباب وسأكافئك بسخاء.

أطاعت العجوز. وفي اللحظة نفسها كفّ البرق عن حرث السماء، توقفت العاصفة وهدأ البحر. أما الكوخ فامتلأ بضياء لم يسبق للعجوز أن شاهدت مثله، ينبعث من القوقعة السوداء الكبيرة التي انفتحت ببطء، وكأنها زهرة سوداء كبيرة. حين فتح مصراعي القوقعة تماماً، بالكاد استطاعت العجوز البقاء واقفة على قدميها من شدة المفاجأة. ففي القوقعة كانت تستلقي طفلة صغيرة ذات شعر ذهبي وعينين لامعتين لا يوجد مثلهما عند البشر. نظرت العجوز ولم تصدق عينيها. لكن ما هذا؟ كان للطفلة عوض القدمين، ذيل سمكة نُثِر عليه الألماس واللؤلؤ الوردي.

فرحت العجوز كثيراً بالطفلة. أخذت سلة ونثرت فيها أوراق الغيرانيوم الحمراء، ومددت الضيفة الصغيرة عليها. وضعت السلة تحت النافذة كي تلوّح

لها أشعة الشمس الأولى في الصباح، وكي ترى الطفلة البحر نهاراً. بعد ذلك ذهبت لتنام فرحة بأنها لم تعد وحيدة بعد الآن.

حين نامت، صرّ الباب المفتوح، ودخلت الكوخ حورية رائعة تضع تاجاً من اللؤلؤ. انحنت فوق الطفلة وحملتها برقة، أطعمتها وأعادتها إلى سريرها. وفي الصباح، نظرت الحورية بحزن إلى ابنتها لآخر مرة، ثم اقتربت بهدوء من سرير العجوز وتركت لها حفنة من اللؤلؤ الأبيض، ثم قالت بصوت عميق يكاد يسمع:

- أشكرك أيتها الجدة لأنك خبأت ابنتي من الساحر الشرير الذي سيطر على مملكتي وهزمني. أبقيها عندك ثلاثين يوماً وثلاثين ليلة وسأكافئك بسخاء مقابل ذلك.

قالت ذلك واختفت على الفور. شاهدت العجوز عندما استيقظت اللآلئ التي تركتها لها الضيفة في الليل، لكنها حقيقة لم تكن بحاجة إليها. بل على العكس، فرحت العجوز كثيراً حين جمعت من الشاطئ أسماكاً وقواقع ستكفيها أياماً عدة.

اهتمت العجوز بالصغيرة طوال اليوم. وحين حل الليل فتح باب الكوخ مجدداً ودخلت الحورية الجميلة. أطعمت الطفلة ولاطفتها، وكالليلة السابقة تركت للعجوز حفنة من اللؤلؤ الأبيض كهدية. وعند الفجر همست بصوت هادئ عميق:

- أبقي ابنتي عندك تسعاً وعشرين يوماً، وتسعاً وعشرين ليلة وسأكافئك بسخاء.

واختفت ملكة البحار كالسديم فوق البحر.

اهتمت العجوز بالطفلة ذات الشعر الذهبي ثلاثين يوماً وثلاثين ليلة. وعندما حلت الليلة الأخيرة، لم ترقد العجوز بانتظار الحورية. صرّ الباب في منتصف الليل تماماً، ودخلت ملكة البحار الرائعة بتاجها اللؤلؤي إلى الكوخ.

- أتيت لآخذ ابنتي،- قالت.- لقد انتصرت طيبتك على الساحر الشرير. لو

لم تأخذي القوقعة السوداء، وتتركي الباب مفتوحاً لما كنا سنتخلص منه أبداً. سأكافئك بسخاء مقابل ذلك أيتها الجدة.

نزعت الملكة عن رأسها التاج اللؤلؤي وقدّمته للعجوز التي شكرتها من كل قلبها على هديتها الملكية وأضافت:

- خذي لؤلؤك أيتها الجميلة. لا أحتاجه. لكن إن كنت حقاً تريدين إسعادي، دعيني أرى بين حين وآخر ابنتك ذات الشعر الذهبي.

ابتسمت ملكة البحار، أومأت للعجوز، واختفت مع ابنتها قبل شروق الشمس.

منذ ذلك اليوم والعجوز تجد الطعام الوافر على شاطئ البحر كل صباح. وحين يصبح البحر أملس كالزجاج، تمعن النظر في المياه الشفافة فتشاهد الطفلة ذات الشعر الذهبي والعينين الغريبتين، والذيل المزين بالألماس واللؤلؤ. عندها تقول العجوز:

- يا له من يوم رائع!

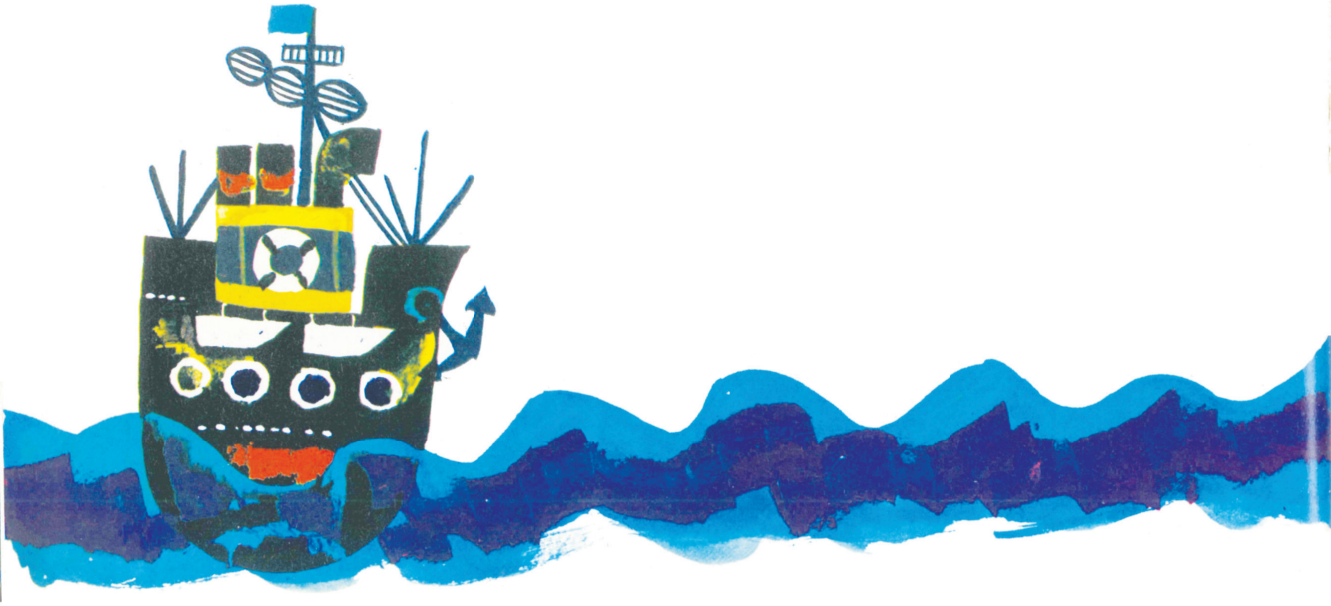

سمكة صغيرة وبحر كبير

الرسالة الرابعة

بينما كان العمال يفرغون ويحمّلون سفينتنا في أحد موانئ البحر المتوسط، التقينا هناك بأحدهم لقاءً غير متوقع. لكن قبل أن أخبركم عنه، سأقص عليكم إحدى القصص..

حلمت سمكة الإسبرط طوال حياتها بالبحر الكبير، وأخيراً سنحت لها الفرصة لتحقيق حلمها. تسللت خلسة إلى جوار سفينة أجنبية، تفحصت قعرها بإمعان فلاحظت قوقعة فارغة نصف مفتوحة التصقت بشدة مع قواقع أخرى بأسفل السفينة. وبالنسبة لمسافر لا يحمل تذكرة، يستحيل إيجاد قمرة أكثر راحة من هذه. وهكذا، اختفت سمكة الإسبرط هناك بسرعة البرق وكمنت بين مصراعي القوقعة.

« أمر جيد أن البحارة نادراً ما ينظفون قعر سفنهم »، – فكرت.

لم تُطِلّ سمكة الإسبرط حتى مرة واحدة من ملجئها إلى أن أحست بأن المياه

أصبحت أكثر دفئاً، وتأكدت من أن السفينة قد وصلت إلى البحر الكبير، عندها غاصت في اللجة اللازوردية دون أن تودع أحداً. وعلى الفور تجمدت مصدومة.

مياه زرقاء شفافة، تشبه الكريستال السحري، تُكَسِّر أشعة الشمس، فيبدو كأن هناك على الأقل مئة شمس غارقة تسطع في الجوار. نباتات بحرية فاخرة تلتفّ على مد البصر في كل مكان. وفي سهول وأدغال أعماق البحر، يتمشى سكان البحر بتمهل، كلٌ منهم أبهى وأعجب من الآخر.

- يا لها من روعة، يا لها من أناقة وثراء!- هتفت سمكة الإسبرط بابتهاج، وانطلقت للبحث عن بنات عمها أسماك الأنشوفا.

لم تكن تعرفهن، ولم يدعونها يوماً لزيارتهن، لكن سمكة الإسبرط قررت أن تنزل في ضيافتهن رغم ذلك. فأسماك الأنشوفا قريباتها، ويُستبعد أن يطردنها- وهي بدورها ما كانت لترفض استضافة أياً منهن. لكن كيف ستعثر على بنات عمها هؤلاء؟

تبخترت نحوها سمكة مدوّرة كالكرة، تحرك زعانفها بكسل، وترتدي رداءً مخططاً بالأسود والأصفر.

- عفواً..- أرادت سمكة الإسبرط أن تكلمها.

- ابتعدي عن طريقي أيتها الصعلوكة!- شتمتها السمينة وتجاوزتها بكبرياء بعد أن زادت انتفاخاً.

تأثرت سمكة الإسبرط من أعماق قلبها، وأوشكت أن تبكي من القهر لو لم تسمع بالقرب منها صوتاً مبحوحاً:

- ماذا جرى أيتها الصغيرة؟

التفتت على الفور وتجمدت في مكانها. اقترب منها سرطان كبير ببطء. كان

يبدو مخيفاً جداً بأرجله العشر وملقطيه الكبيرين، لكن حين رأت سمكة الإسبرط درعه الأرجواني اللامع، خطر لها أن المصادفة قادتها للقاء فارس حقيقي.

- أيها السيد النبيل! – هتفت بحماس دون أن تشك لحظة أنها تواجه سرطاناً بحرياً شرساً.- أنا أبحث عن بنات عمي أسماك الأنشوفا.

- الأنشوفا؟ إنهن... – رفع سرطان البحر أحد ملاقطه ببطء وكأنه سيشير إلى المكان الذي يمكنها أن تجدهن فيه.

فجأة فرقع بملقطه. تراجعت سمكة الإسبرط إلى الخلف لا إرادياً. فقد كادت الملاقط المسننة أن تقبض عليها، ولم تسلم إلا لرشاقتها، ثم هربت مذعورة.

« يجب ألا أثق بأحد هنا»- أخذت سمكة الإسبرط قرارها وهي تلتقط أنفاسها، تلفّتت حولها بانتباه وسرعان ما شاهدت سمكة تستلقي دون حراك بين أعشاب البحر. كانت هذه السمكة شبيهة بسمكة موسى المفلطحة، لكنها أصغر، أكثر استدارة وأكثر انتفاخاً. وتبين أيضاً أنها كسولة لدرجة مخيفة، فهي لم تتحرك مرة واحدة بينما كانت سمكة الإسبرط تتفحصها. لم ترمش بعينيها حتى، ولم تتحرك أيضاً الفتحات المدوّرة فوق عينيها، المحاطة بمجسات قصيرة بيضاء.

« ما هذه الفتحات؟ لا بد من أنهما الأذنان. ومادام لديها أذنين يمكنني أن أسألها عن الأنشوفا من بعيد»، فكرت سمكة الإسبرط وكادت تتقدم إلى الأمام، لكن في هذه الأثناء اقتربت من السمكة الكسولة سمكة صغيرة لم تتوخ الحذر. فجأة اندفعت صاعقة من « الأذنين»، وسقطت السمكة الصغيرة مصعوقة بالكهرباء، وبات واضحاً أن السمكة الكسولة «رعّاد كهربائي». اصطكت أسنان سمكة الإسبرط من الخوف وهي تتخيل نفسها مكان السمكة الصغيرة، فأسرعت لتغادر إلى حال سبيلها. ومن شدة الاضطراب كادت تعلق في الفوال الشفاف لأردية ثلاث سمكات يلبسن بفخامة، وتعكس ملابسهن الثمينة جميع ألوان قوس قزح.

- يا لك من خرقاء! احذري أيتها الغبية، قد تمزقين ملابسنا! – صرخت السمكات المتأنقات، لكن سمكة الإسبرط لم تنزعج من ذلك هذه المرة.

حتى أنها أحست براحة داخلية، استردت رباطة جأشها تدريجياً وبدأت البحث عن قريباتها مجدداً.

شاهدتهن السمكة من بعيد، وعرفتهن على الفور: كن يشبهن أسماك الإسبرط كثيراً، لكنهن أكبر حجماً قليلاً. اختلطت بفرح في سربهن صارخة:

- حبيباتي! أيتها الغوالي!

لكن الأنشوفا لم يلقين إليها أي اهتمام. حتى أنهن لم يلتفتن برؤوسهن نحوها، وبقين يسبحن في طريقهن دون مبالاة.

- أرجوكن.. أرجوكن! لقد أتيتكن من بعيد، وطوال اليوم أبحث عنكن..- حاولت إيقافهن، موجهة كلامها تارة لسمكة وتارة لسمكة أخرى، ولكن ما من واحدة منهن أرادت أن تلاحظ وجودها.

صُدِمت سمكة الإسبرط بلامبالاتهن، لكنها بقيت تسبح قربهن دون أن تعرف كيف عليها أن تتصرف. فجأة اضطربت أسماك الأنشوفا، حركت ذيولها وزعانفها بقلق واندفعت إلى الأمام بسرعة كبيرة. حاولت سمكة الإسبرط ألا تتأخر عنهن لكن سرعتهن كانت تفوق قدرتها فبدأت تهبط إلى القاع وقد شلها التعب. حدث ذلك في الوقت المناسب تماماً، فقد شاهدت سمكة الإسبرط ظلاً كبيراً لسمكة التن يمر فوقها. كانت سمكة التن تطارد السرب وتلتهم بشراهة سمكات الأنشوفا التي تمسك بها.

هبطت سمكة الإسبرط أعمق فأعمق، فاقدة قواها الأخيرة بسبب الرعب، إلى أن وصلت إلى القاع. كان البحر عميقاً جداً في هذا المكان لأن ظلاماً رمادياً غطاه بالكامل. حتى الصخور المتكدسة في الجوار بدت رمادية، وكذلك الرمل.

استلقت سمكة الإسبرط مصعوقة دون حراك، تتأمل بعينيها الفضاء المحيط بتعب. لاحظت قربها مجموعة من الورود الباهتة تهتز بانسيابية، وأسفت أنها لم تهبط هناك: فالورود جميلة جداً وذات تويجات ناعمة من أوراق رقيقة يستحيل عدم الإعجاب بها. راقبت سمكة الإسبرط بحسد أيضاً سمكة ما تقترب منها وكأنها تنوي أن تشمها. لكن ما إن لمست إحدى الورود حتى تحركت الوريقات على الفور وأمسكت بالمسكينة. حاولت الضحية الإفلات بيأس، نادت طالبة النجدة، لكن دون جدوى. فقد أمسكت وردة شقيق البحر السمكة بقوة، وامتصتها داخلها بالتدريج إلى أن ابتلعتها كلياً.

لم تصدق سمكة الإسبرط عينيها: كيف يمكن لمخلوق جميل كهذا أن يكون غداراً وقاسياً إلى هذا الحد؟ يمكن أن يفهم المرء شراسة أسماك القرش التي مزقت سمكة التن بعد حين، لأنها بالفعل تشبه قراصنة البحر الحقيقيين الذين ينقضّون على ضحيتهم، يخطفون منها قطعة لحم، وينقضون مجدداً ومجدداً. بل أنهم يصبحون أكثر شراسة حين يرون الجراح التي يرتفع منها كالدخان خيط أزرق اللون...

« يا له من أمر غريب، يبدو أن للأسماك هنا دماء زرقاء ..»- فكرت سمكة الإسبرط المذهولة التي لم تكن تعرف أن اللون الأحمر لا ينفذ إلى الأعماق السحيقة، لذلك يظهر كل شيء أحمر بلون سماوي أزرق. وأضافت سمكة الإسبرط لنفسها: « لا بد من أن جميعهم من الأمراء النبلاء، لكن عالمهم مقرف! آه كم خُدِعت! كيف سأعود إلى بحري الحبيب الآن؟».

وبدأت تبكي من الحسرة والخوف. سمكة صغيرة ضائعة في بحر كبير غريب، لن تُقدّر لها رؤية شواطئها الحبيبة مرة أخرى يوماً.

تخيلوا إذن، أن هذه السمكة، أو واحدة تشبهها، توسلت إلينا والدموع في عينيها أن نصحبها معنا على سفينتنا.

أمواج البحر المتوسط

تهمس....

الأمير السرطان

حكاية إيطالية

كان هناك صياد لا يستطيع إطعام عائلته الكبيرة بالمال الذي يجنيه من صيد السمك. وذات يوم في أثناء الصيد، شعر وهو يسحب شبكته من البحر أنها ثقيلة جداً، وحين أخرجها بصعوبة وجد فيها سرطاناً عملاقاً.

- يا له من صيد!- فرح الصياد.- أستطيع الآن أن أطعم أولادي المامالیغا .

عاد إلى البيت وأمر زوجته أن تضع القدر على النار.

- قريباً سيصبح لدينا طحين لتحضير المامالیغا.- قال الصياد لزوجته، ثم أخذ السرطان إلى قصر الملك.

- يا صاحب الجلالة،- بدأ الصياد الكلام.- رجاء أن تتكرم عليّ وتشتري مني هذا السرطان. زوجتي تغلي الماء الآن لتحضير المامالیغا، وأنا لا أملك المال لشراء الطحين.

- ما حاجتي بسرطانك؟ بعه لأحد آخر.- أجاب الملك.

هنا دخلت الأميرة.

- يا له من سرطان جميل رائع! أرجوك يا أبي العزيز، اشتر السرطان أرجوك. سنطلقه في البركة ليسبح مع سمك البوري والأسماك الذهبية!

كانت الأميرة تحب السمك كثيراً، وتقضي أيامها جالسة في الحديقة قرب البركة، تراقب كيف تسبح أسماك البوري والأسماك الذهبية. بالطبع لبى الملك رغبة ابنته التي يحبها كثيراً.

أطلق الصياد السرطان في بركة الأسماك، وقبض ثمنه كيساً من الذهب يمكنه مقابله الآن أن يطعم أولاده المامالیغا شهراً كاملاً.

لم تغادر الأميرة البركة أياماً وهي تمتّع ناظريها بالسرطان حتى باتت تعرف عاداته، ولاحظت أنه يختفي في منتصف النهار تماماً. في إحدى المرات حين كانت الأميرة جالسة عند البركة سمعت رنين جرس، ذهبت إلى البوابة فشاهدت شحاذاً يطلب صدقة. رمت الأميرة إليه كيساً من الفضة، لكن الشحاذ لم يستطع إمساكه، فسقط في خندق عميق مليء بالماء.

هبط الشحاذ إلى الخندق آملاً أن يجد الكيس، غطس وسبح تحت الماء. وحين خرج وجد نفسه في حوض ماء رائع وسط قاعة كبيرة تحت الأرض مزينة بسجاد فاخر، وفيها طاولة مجهّزة بأدوات المائدة. خرج الشحاذ من الحوض واختبأ خلف السجادة مترقباً. وفي منتصف النهار تماماً خرجت من الماء حورية جالسة على ظهر سرطان كبير. لمست الحورية السرطان بالعصا السحرية فخرج من

درعه شاب جميل وجلس إلى الطاولة. لمست الحورية الطاولة بعصاها السحرية فامتلأت الأطباق التي عليها بأطايب الطعام، أما الكؤوس فامتلأت بالخمر. أكمل الفتى طعامه ودخل مجدداً في درع السرطان، بينما جلست الحورية على ظهره واختفيا تحت الماء.

خرج الشحاذ من خلف السجادة، غاص في الماء وعاد سابحاً، ولم يلاحظ كيف عاد إلى بركة الأميرة.

حين رأت ابنة الملك الشحاذ تعجبت:

- كيف وصلت إلى هنا؟

- اسمعي أيتها الأميرة، سأقص عليك حكاية عجيبة.

خرج الشحاذ من البركة وروى للأميرة ما جرى معه.

- عرفت الآن أين يختفي سرطاني في منتصف النهار تماماً.- قالت الأميرة.

في اليوم التالي تسللت الأميرة مع الشحاذ عبر قناة تحت الأرض إلى القاعة ذات الحوض، واختبأت خلف السجادة. وفي منتصف النهار تماماً أتت الحورية على ظهر السرطان، لمست درعه بعصاها السحرية فظهر شاب رائع اتجه نحو الطاولة.

ما إن رأت الأميرة الشاب الذي خرج من درع السرطان حتى وقعت في حبه، فتسللت نحو الدرع ودخلت فيه خلسة. وحين عاد الشاب إلى الدرع فوجئ بالأميرة.

- إن شاهدتك الحورية سنهلك كلينا.- همس الشاب.

- أريد أن أحررك من السحر الشرير،- أجابته الأميرة همساً.- أخبرني كيف أستطيع مساعدتك؟

- لن تستطيعي مساعدتي. فلن يزول السحر إلا بفضل شابة تحبني أكثر من الحياة نفسها.

- أنا مستعدة لكل شيء.- قالت الأميرة.

بينما كان يجري داخل الدرع هذا الحديث، جلست الحورية على السرطان فأخرجها وهو يحرك أرجله عبر قناة تحت الأرض إلى عرض البحر. لم يخطر في بال الحورية مطلقاً أن ابنة الملك مختبئة تحت الدرع، فانزلقت إلى الماء وسبحت بعيداً، أما الأميرة والشاب فعادا أدراجهما. وفي الطريق قال الأمير – وكان أميراً حقيقياً- لمحبوبته:

- اذهبي إلى شاطئ البحر واصعدي على الصخرة الكبيرة، ثم غني واعزفي على الكمان إلى أن تأتي الحورية سابحة إليك، فهي تعشق الموسيقى. ستظهر لك الحورية من الماء وتقول: « اعزِفي أيتها الجميلة فأنا أشعر بسعادة بالغة!» أما أنت فأجيبيها: « حسناً سأظل أعزف إن أعطيتني الزهرة التي في شعرك». وحين تمسكين الزهرة بين يديك أصبح حراً، فخلاصي يكمن فيها.

وعاد السرطان والأميرة إلى البركة.

خرجت ابنة الملك من البركة وشكرت الشحاذ الذي سبق أن عاد من القاعة تحت الأرض، وكافأته بسخاء. ثم ذهبت إلى أبيها وأخبرته أنها ترغب بدراسة العزف والغناء. لم يسبق للملك أن رفض أي طلب لابنته فأمر أن يُؤتى بأفضل المغنين والعازفين على الفور.

بعد أن تعلمت الأميرة العزف والغناء قالت لأبيها:

- أريد أن أذهب إلى البحر وأعزف على الكمان فوق الصخرة الكبيرة.

- فوق الصخرة على شاطئ البحر؟ لقد جننت!- ردّ الملك.

لكنه لم يعارض رغبتها كالعادة، بل أمر أن ترافقها ثماني خادمات، وفصيلة من الجند مهمتهم مراقبة الأميرة جيداً. صعدت الأميرة الصخرة الكبيرة ووقفت الخادمات الثماني على ثماني صخرات حولها. وما إن تدفق صوت الكمان

حتى ظهرت الحورية بين الأمواج.

- يا لها من موسيقى رائعة! اعزِفي، اعزِفي فأنا أشعر بسعادة بالغة.

- سأعزف إن أهديتني الزهرة التي في شعرك. فأنا أعشق الزهور.

- سأعطيك الزهرة إن أحضرتِها من المكان الذي سأرميها إليه.

- حسناً. – قالت الأميرة وعادت إلى الغناء والعزف.

حين انتهت، رمت الحورية الزهرة بعيداً في عرض البحر، وصرخت بصوت عال:

- أمسكي!

رمت الأميرة بنفسها في الماء وسبحت إلى حيث تتأرجح زهرة رائعة على الأمواج.

- أيتها الأميرة! أيتها الأميرة!- صرخت الخادمات الثمانية من صخورهن.

حركت الريح ملابسهن البيضاء وهن يمددن أيديهن باتجاه البحر ينادين الأميرة، لكنها ظلت تسبح وتسبح، تختفي بين الأمواج ثم تظهر مجدداً. وحين بدأت قواها تفارقها، أحضرت لها موجة مقتربة الزهرة، ووضعتها بين يديها.

وهنا سمعت الأميرة صوتاً من تحت الماء:

- لقد أنقذتني وستصبحين الآن زوجتي. لا تخشي شيئاً، سأساعدك بالخروج إلى الشاطئ. لكن إياك أن تخبري أحداً بالأمر، حتى والدك نفسه. اليوم سأُفرح أهلي، وغداً آتي لأطلب يدك من الملك. – قال السرطان وسبح مع الأميرة إلى الشاطئ.

في البيت أخبرت الأميرة الملك أنها تسلت كثيراً، ولم تتفوه بكلمة أخرى.

في تمام الساعة الثالثة من اليوم التالي، صدح أمام قصر الملك نفير الأبواق وقرع الطبول وطرق حوافر الجياد. ثم أخبر الخدم الملك بوصول أمير من مملكة مجاورة.

طلب الأمير من الملك يد ابنته، وأخبره بكل ما جرى. في البداية غضب الملك لأن ابنته أخفت الأمر عنه فأمر باستدعائها. وحين وصلت الأميرة اندفعت إلى أحضان الأمير قائلة:

- آه يا حبيبي!

حينها أدرك الملك أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى إقامة عرس فاخر.

كولا - السمكة

حكاية إيطالية

في قديم الزمان عاشت في ميسينا امرأة لها ابن اسمه كولا. كان كولا يعشق السباحة في البحر من الصباح حتى المساء، ودائماً تقف الأم على الشاطئ وتناديه:

- كولا! كولا! اخرج من الماء! أنت لست سمكة.

لكن مع كل يوم، كان كولا يبتعد في أثناء سباحته أكثر وأكثر، حتى شعرت الأم

بألم في صدرها بسبب صراخها المستمر. ذات مرة أجبر كولا أمه على الصراخ طويلاً حتى نفد صبرها فصرخت بغضب:

- فلتتحول إلى سمكة!

ويبدو أن أبواب السماء كانت مفتوحة في ذاك اليوم وسُمِعَ دعاء الأم، فتحول الصبي على الفور إلى نصف إنسان ونصف سمكة. نبتت بين أصابعه أغشية كأقدام البط، وأصبحت رقبته كرقبة الضفدع. لم يعد كولا إلى اليابسة بعد ذلك، وما لبثت أن توفيت أمه بعد أن فقدت الأمل بانتظار عودته.

وصلت الأقاويل عن ظهور نصف إنسان ونصف سمكة في المضيق قرب ميسينا إلى الملك نفسه، فأمر جميع البحارة أن يخبروا كولا- السمكة إن رأوه، أن الملك بجلاله يريد التحدث إليه.

ذات يوم أبحر أحد البحارة بعيداً في عرض البحر وشاهد كولا- السمكة الذي كان يسبح بالقرب.

- كولا! ملك ميسينا يرغب في التحدث إليك.- قال البحار.

سبح كولا إلى قصر الملك الذي استقبله بابتسامة حنونة.

- أنت سباح بارع جداً يا كولا- السمكة. انزل إلى قاع البحر، دُر حول صقلية ثم أخبرني أين تقع أعمق منطقة، وعن كل شيء تشاهده أيضاً.

أطاع كولا الأوامر وسبح حول صقلية. وسرعان ما عاد قائلاً أنه شاهد جبالاً في قاع البحر، ودياناً، كهوفاً وأسماكاً غريبة.

- الغريب في الأمر،- قال كولا.- إنني لم أتمكن من الوصول إلى القاع عند رأس فارو.

- على ماذا تقف ميسينا إذن؟ - تعجب الملك.- أغطس مجدداً وأخبرني على ماذا تقف مدينتي.

غاص كولا وقضى اليوم بطوله تحت الماء، وحين عاد قال للملك:

- تقف ميسينا على صخرة مسنودة بثلاثة أعمدة: أحدها متين، والثاني متشقق، والثالث شبه متداع.

صُدم الملك بهذه الأنباء وأرسل كولا- السمكة إلى نابولي ليرى ماذا يوجد تحت البراكين. غاص كولا عميقاً في البحر قرب نابولي ثم أخبر الملك أنه صادف في طريقه تياراً من الماء البارد أولاً، ثم تياراً من الماء الساخن، وفي بعض المناطق تيارات من المياه الحلوة. لم يرغب الملك أن يصدق ذلك لكن كولا طلب زمزميتين وسبح بهما إلى نابولي، غاص فعبأ إحداهما بالماء الساخن والأخرى بالماء الحلو.

سيطرت على الملك فكرة عدم وجود قاع للبحر عند رأس فارو، فاستدعى كولا- السمكة مجدداً إلى ميسينا وقال:

- كولا، عليك أن تخبرني ما عمق البحر عند رأس فارو، حتى لو تقريبياً.

غاص كولا وبقي يومين تحت الماء. وحين عاد شرح للملك أنه لم ير القاع رغم ذلك، لأن عموداً من الدخان يصعد من مكان ما في الأسفل، ويعكر الماء في الأعماق السحيقة.

أمر الملك بفضول لا يرتوي:

- اقفز في البحر من المنارة عند رأس فارو.

تقع هذه المنارة عند أقصى الرأس. في الماضي كان يقف هناك حارس ينفخ في البوق ويلوح بالعلم محذراً السفن العابرة من التيارات الخطيرة. قفز كولا- السمكة إلى البحر من برج المنارة.

انتظر الملك يوماً، وثانياً وثالثاً لكن كولا لم يظهر. أخيراً عاد شاحباً كالميت.

- ماذا هناك يا كولا؟- سأل الملك.

- أمر مخيف! رأيت سمكة تستطيع أن تدخل إلى فمها سفينة كاملة! وكيلا أقع في فمها اختبأت خلف أحد الأعمدة التي تحمل ميسينا.

استمع الملك إليه فاغراً فاه من الدهشة، لكنه لم يسمع ما يهمه، أي مقدار العمق عند رأس فارو، وظل مشغول البال بسبب فضوله الملعون.

- لا يا صاحب الجلالة، لن أغطس مجدداً.- قال كولا.

أدرك الملك أنه لن يتمكن من إقناع الإنسان- السمكة، عندها نزع التاج المرصع بالأحجار الكريمة عن رأسه، ورماه في البحر..

- أخرجه يا كولا!

- لكنه تاج مملكتك يا صاحب الجلالة!

- أجل، لا يوجد مثيل له في العالم. اغطُس وأحضره يا كولا.

- سأغطس إن كانت هذه رغبتك يا صاحب الجلالة،- قال كولا.- لكن قلبي يخبرني أنني لن أعود من الأعماق. أعطني حفنة من العدس. إن بقيت على قيد الحياة فسأعود، وإن طفا العدس على سطح الماء فلا تنتظرني.

ضغط كولا على حفنة العدس في قبضته وغاص في البحر. انتظروه وانتظروه، ومر وقت طويل. وها قد عام العدس على سطح الماء.

لكنهم مازالوا ينتظرون الإنسان- السمكة حتى الآن.

ملاح من بولونيا

حكاية فرنسية

عاش في بولونيا ملاح عجوز متقاعد مع زوجته وابنه. كان يملك زورقاً صغيراً يبحر فيه كل يوم لصيد السمك لأن راتبه التقاعدي ضئيل، بالكاد يكفي لإطعام عائلته. كان ابن الملاح ذو السبعة أو الثمانية أعوام يطلب دائماً من والده أن يصطحبه معه إلى البحر، لكن الأب لم يكن يوافق خوفاً على حياة ابنه الوحيد. في إحدى المرات اختبأ الصبي بين العدة والأشرعة، وما إنْ أبحر القارب حتى خرج من مخبئه وصرخ بفرح:

- انظر يا أبي، أخيراً رافقتك إلى صيد السمك.

حين خرج القارب إلى عُرض البحر، شاهد الأب وابنه سفينة ذات علم مرفوع

إشارة إلى أنها تنتظر ملاحاً مرشداً يقودها إلى الميناء. اقترب الملاح العجوز بقاربه من السفينة فسأله بحارتها إن كان ملاحاً.

- كنت ملاحاً. صحيح أنني متقاعد الآن، لكن بإمكاني أن أقودكم إلى الميناء.

ساعد البحارة الملاح وابنه على الصعود إلى سطح السفينة القادمة من مملكة ناتس، كي تصطحب معها بأمر من الملك صبياً فرنسياً سيتلقى تربيته في المهجر ثم يتزوج بالأميرة.

حين شاهد البحارة ابن الملاح القوي البنية، السليم والذكي، أعجبوا به وقالوا:

- غايتنا صبي مثله ولا حاجة بنا لأن نكمل سفرنا.

بعد أن أطعموا الملاح وسقوه، أخبروه بأنه يستطيع العودة إلى قاربه لأنهم لم يعودوا يحتاجون إليه.

جلس الملاح في قاربه وصار ينادي ابنه، ولكن البحارة أجابوه بأن الصبي سيبقى على متن السفينة. وهكذا غادرت السفينة بأقصى ما يمكن لأشرعتها، تاركة الأب في قلق تام.

وصلت السفينة إلى عاصمة مملكة ناتس، فحيّت المدينة بإحدى وعشرين طلقة مدفعية، وأجابتها المدينة بتحية مماثلة. اصطحب البحارة ابن الملاح إلى القصر فأعجب الملك كثيراً بالفرنسي الصغير، وأمر أن يُربّى الصبي بمثابة ابنه. وحين بلغ الصبي الثامنة عشرة، زوجه الملك من ابنته.

كان ابن الملاح يتذكر أباه وأمه كثيراً وهو يعيش حياة الرفاهية والثراء.

- كان والداي فقيرين حين غادرتهما. كم أود أن أراهما، وأوفر لهما حياة كريمة حتى نهاية العمر.- أخبر ابن الملاح زوجته عن أمنيته ذات يوم، فوجدتها منطقية تماماً.

وقرر الزوجان الشابان الانطلاق في الرحلة البحرية معاً.

تضع النساء والشابات في مملكة ناتس نقاباً على وجوههن، ولا يحق للزوج أن يرى وجه زوجته أول مرة إلا بعد أن تصبح أماً. حين طلب الفرنسي الشاب من حماه الإذن بالسفر إلى بولونيا، أجبره الملك، قبل أن يعطي موافقته، أن يقسم له بأنه لن يخلّ بتقاليد البلاد ويحاول رؤية وجه زوجته أثناء السفر. وهدد الصهرَ بأنه سيُعاقب عقاباً صارماً إن أخلّ بقسمه.

صعد الزوجان الشابان إلى السفينة وسرعان ما اقتربا من بولونيا.

بعد أن صعد حرس الجمارك إلى السفينة الأجنبية، أخبروا السلطات أن أمير وأميرة ناتس قد وصلا في زيارة إلى فرنسا. جلس الضيفان النبيلان في زورق فضي وأرسيا عند الشاطئ، وهناك استقبلهما المحافظ، العمدة ومسؤولان آخران.

وبينما كان زوج الأميرة محاطاً بالمرافقين المهمين، لاحظ عجوزاً في قميص بحارة مذهّب يقف على مبعدة، فعرف فيه والده فوراً. اقترب الأمير من الملاح العجوز وسأل:

- ألم تعرفني؟

- لا.- أجاب العجوز، وهو يتفحص بذهول السيد الذي يرتدي الملابس الحريرية الفخمة ويتزين بالمجوهرات.

- أنا ابنك الذي أخذوه منك في السفينة إلى مملكة ناتس، والأميرة زوجتي. كيف حال أمي؟

- حزينة جداً على فراقك، وشاخت كثيراً.

- اطمئن يا أبي، لقد أتيت لأوفر لكما طيب العيش في آخر العمر.- قال الابن وعاد إلى الوجهاء ليخبرهم أنه سيقيم مع زوجته عند الملاح العجوز.

كان قد مرّ على إقامة الزوجين الشابين في بولونيا ثلاثة أسابيع، حين سألت الأم ابنها ذات مرة:

- لمَ لمْ يسبق لأحد أن شاهد وجه زوجتك حتى الآن يا بني؟

- بسبب تقاليد مملكة ناتس التي لا تسمح للزوج برؤية وجه زوجته إلا بعد أن تصبح أماً. وقد أقسمت لحماي قبل سفري أنني لن أخلّ بهذا التقليد.

- لو كنت مكانك،- قالت الأم.- لما شعرت بالطمأنينة ما لم أعرف إن كانت زوجتي جميلة أو قبيحة. وإن تعاملتَ مع هذا الأمر بذكاء فلن يعرف حماك بشيء.

نقل ابن الملاح كلمات أمه إلى زوجته.

- حسناً،- قالت الأميرة.- لكنني أخشى أن يعرف أبي بالأمر، فجميع سحرة بلادنا موجودون في بلاطه. عندها سيعاقب كلينا بقسوة.

ورفعت النقاب. لكن حين قرّب الزوج النور من وجهها، حرقت شرارة الشمعة خد الزوجة الشابة.

- آه!- هتفت الأميرة.- هذا ما كنت أخشاه. سنهلك الآن.

غادرت سفينتهما بولونيا وسرعان ما وصلت إلى ناتس. سأل الملك الفرنسي الشاب فور نزوله إلى الشاطئ:

- هل حنثت بالقسم الذي أقسمته لي قبل مغادرتك؟

- لا.

- إن تبين لي خلاف ذلك، فالويل لكما معاً!

وفي اليوم نفسه استدعى ابنته وسألها:

- هل رأى زوجك وجهك؟

- لا يا أبي.

- سأعاقب كليكما إن كنت تكذبين.

أجبر الملك الأميرة على رفع النقاب وغضب كثيراً حين شاهد أثر الحرق.

- أيتها الخبيثة! أغربي عن ناظري، لا أريد أن أراك مجدداً.

أمر الملك على الفور باستدعاء جميع السحرة والساحرات والمشعوذين، وحين وصلوا أمرهم أن يحوّلوا صهره إلى رجل قبيح لم يسبق للعالم أن شاهد مثله.

ألقى الساحر الأول تعاويذه:

- لتعمى إحدى عينيه ولتحْوَلّ الأخرى.

- ليستطيل فمه حتى الأذنين!- قال آخر.

- لتنبت له حدبة من الخلف، وحدبة من الأمام!- أضاف ثالث.

- ليتشوه أنفه بشكل مرعب.- قال رابع.

- لينقلب رأسه إلى الخلف!- أضاف خامس.

- ليصاب بالعرج، ولتنقلب إحدى ساقيه إلى الخارج والأخرى إلى الداخل!- صرخ آخر السحرة.

وكلما تلفظوا بتعاويذهم ازداد الصهر المسكين قبحاً، إلى أن تحول إلى مسخ لم يسبق للعالم أن رأى مثله. بعد ذلك أمر الملك جنوده بطرده من القصر كأي متشرد عادي.

تحرك المشوه المسكين بصعوبة بالغة، عرج طويلاً في الطريق إلى أن وصل إلى بيت صغير. وقرب عتبة البيت كانت تجلس ساحرة طيبة عجوز نسوا استدعاءها إلى القصر حين قرر الملك معاقبة صهره. حيّاها المشوه بأدب.

- ألست صهر الملك؟- سألت الساحرة العجوز.

- للأسف، هذا أنا.

- لقد أبدعوا في تشويهك! لكن لحسن الحظ لدي في الغرفة الداخلية شيء من أجلك.

أحضرت الساحرة عصاً سحرية من الغرفة وقالت:

- حين أخبرتني جارتي مارغو صباح اليوم عن مصيبتك، قررت أن أساعد الفرنسي المسكين حسب استطاعتي، إن قاده القدر إليّ.

لمسته الساحرة العجوز بعصاها فأبصر بكلتا عينيه ولم يعد يعرج، صغر أنفه وفمه مقدار النصف، زالت إحدى الحدبتين، ولم يعد رأسه مقلوباً، بل مائلاً إلى الجانب فقط.

أعطته الساحرة ملاحظة مكتوبة ليعطيها إلى جارتها مارغو، تطلب منها أن تجعل صهر الملك أجمل مما كان في السابق. شكر ابن الملاح الساحرة العجوز من أعماق قلبه، وغادرها وهو أقل حزناً من السابق.

حين دخل ابن الملاح إلى بيت الجارة، أعطاها الملاحظة وقال:

- طاب يومك يا مارغو المحترمة.

- آه! أنت صهر الملك! حسناً سأكمل العمل الذي بدأته الساحرة العجوز.

لمست مارغو ابن الملاح بعصاها السحرية فتحول إلى شاب رشيق، جميل الوجه. بعد ذلك قالت له:

- إن أردت العودة إلى ديارك إليك كرة الخيوط هذه، ارمها على الأرض وستتدحرج أمامك لترشدك إلى الطريق. خذ هذا الرمح أيضاً لتصرع به كل من يحاول أسرك.

ثم أعطته خبزاً ولحماً أيضاً، وحذرته من جميع المخاطر التي تنتظره في الطريق.

شكرها ابن الملاح وانطلق خلف الكرة التي سرعان ما قادته إلى الغابة. سار في الغابة طويلاً إلى أن شاهد فجأة أسداً أمامه، دباً على يمينه، وفهداً على يساره. زأرت الوحوش بشراسة، فرمى نصف الخبز للأسد والنصف الآخر

للدب، أما اللحم فرماه للفهد. فسمحت له الحيوانات بالمرور دون أن تمسه بأذى.

مع حلول الليل شاهد وسط الغابة قصراً منيراً. تدحرجت الكرة إلى ساحته، ثم قفزت إلى العتبة ففُتِحت الأبواب من تلقاء نفسها. تبع ابن الملاح الكرة إلى القصر وجلس ليتدفأ قرب الموقد. وضعت له يد غير مرئية الطعام والشراب على الطاولة فأشبع جوعه وروى عطشه ثم استلقى على فراش طري، وحين استيقظ صباحاً شاهد على الطاولة إفطاراً حضّره شخص ما. وبعد أن تناول طعامه قرر مغادرة القصر، ظهرت ثلاث فتيات في أثواب بيضاء اعترضن طريقه.

- أتريد الرقص معي؟- سألت الأولى.

- لا.- أجاب.

- ارقص معي قليلاً.- طلبت الثانية.

- لا.

- ما رأيك أن نرقص؟- عرضت الثالثة.

- لا.

عندها استدارت الفتيات وغادرن. أسقطت آخرهن حذاءً زجاجياً على الأدراج ثم التفتت إليه عند الباب وقالت:

- إن احتجت إليّ خذ هذا الحذاء واهمس: « احضري أيتها الفتاة الرائعة!». وسأقدم لك العون فوراً.

استأنف ابن الملاح طريقه خلف الكرة، وفجأة شاهد ثلاثة أشباح كبيرة على الطريق.

- إلى أين أيها الحشرة الوضيعة؟- صرخ الشبح الأوسط بصوت مخيف.

أخذ ابن الملاح الحذاء الزجاجي وهمس:

- احضري أيتها الفتاة الرائعة!

- كيف أساعدك؟- سمع صوتاً مألوفاً.

- أريد أن تتحول هذه المخلوقات المخيفة إلى غبار تذروه الريح.

وفي اللحظة نفسها تحققت أمنيته، وتابع ابن الملاح طريقه. سار طويلاً، وأخيراً وصل إلى بولونيا حيث عاش والداه برخاء، بعد أن ترك لهما هو والأميرة مبلغاً محترماً من المال. لكن شوق الفرنسي الشاب إلى زوجته غلبه أخيراً، فأخذ الحذاء الزجاجي ونادى الفتاة.

- أريد أن أعاقب حماي الذي عاملني بقسوة شديدة.- قال.

- استأجر سفينة واصطحب معك تسعاً وعشرين بحاراً، وانطلق في رحلتك البحرية دون خوف. ولا تقلق بشأن الباقي.- أجابته الفتاة.

حين اقتربت السفينة من عاصمة مملكة ناتس، أطلقت إحدى وعشرين طلقة مدفعية كتحية. استعلم رؤساء الميناء عن السيد الذي وصل على هذه السفينة وعن حاجته.

- أريد الاستيلاء على المدينة.- قال ابن الملاح.

حين نُقِلت إلى الملك هذه الكلمات، ضحك وأمر ضباطه:

- أسألوا هذا الوقح متى يفضل أن تغرق سفينته، اليوم أم غداً؟

- غداً سآخذ مكاني على العرش.- أجاب ابن الملاح.

أمر الملك الغاضب بإغراق السفينة واستدعى الجيش بأكمله إلى الميناء. لكن كلما حاول الجنود إطلاق مدافعهم كانوا فجأة يعطسون جميعاً فلا يستطيعون التصويب. مر ابن الملاح دون أن يصاب بأذى بين صفوف الجيش مسلحاً بالرمح الذي أعطته له مارغو الطيبة، اقتحم القصر وقتل الملك الشرير.

ثم انطلق للبحث عن زوجته التي طُرِدَت من القصر بأمر من أبيها كيلا تقع عيناه عليها. وحين وجدها أقامت من فرحتها حفلة كبيرة. وضعت براميل من الخمر على جميع المفارق، وركضت في الشوارع خنازير مشوية والفلفل في آذانها، الخردل بين أسنانها، وسكين وشوكة في جوانبها، وكلٌّ يستطيع أن يقطع قطعة لنفسه إن اشتهى.

المورغان(•) على جزيرة أويسان

حكاية فرنسية

في قديم الزمان، عاشت على جزيرة أويسان فتاة جميلة عمرها ستة أو سبعة عشر عاماً تقريباً، اسمها مونا كيربيلي. امتدح الجميع مونا الحسناء قائلين لأمها:

- ابنتك جميلة جداً يا جانا! إنها حسناء كالمورغان، ولم يسبق أن كانت هناك فتاة بجمالها على جزيرتنا، إلى درجة قد يظن المرء أنها ابنة أحد المورغان.

- لا تتحدثوا هكذا،- اعترضت المرأة الطيبة.- فالله يشهد أن والدها فرانتز كيربيلي، زوجي. وهذا أكيد تماماً كحقيقة كوني أمها.

(•) المورغان: مخلوقات خرافية جميلة على هيئة الإنسان تعيش في البحر.

كان والد مونا صياداً يقضي تقريباً كل وقته في البحر، بينما تعمل الأم في قطعة أرض قريبة من بيتهم، وتحيك الكتان في الطقس السيئ. أما مونا فتذهب مع فتيات أخريات إلى شاطئ البحر ليجمعن قواقع متنوعة صالحة للأكل. ولا بد من أن المورغان- كانوا حينها كثر قرب الجزيرة- قد لاحظوا مونا، وانبهروا بجمالها تماماً مثل البشر.

في إحدى المرات كانت مونا كعادتها جالسة مع صديقاتها عند شاطئ البحر، حين تحدثت الفتيات عن الخطّاب. كل منهن تمتدح خطيبها لأنه صياد جيد، يستطيع قيادة قاربه بمهارة بين الصخور الكثيرة الموجودة تحت سطح الماء والمحيطة بالجزيرة.

- عبثاً يا مونا ترفضين الزواج بإيرفون كيردودال.- قالت مارغريتا آرفور لابنة فرانتز كيربيلي.- إنه فتى صالح، لا يشرب الخمر، لا يتشاجر مع رفاقه أبداً، ولا أحد يقود القارب أفضل منه في المناطق الخطرة.

- هذا ما كان ينقصني!- أجابت مونا بازدراء لأنها تحولت إلى فتاة مغرورة ومتكبرة بعد أن سمعت الكثير من المديح لجمالها.- يستحيل أن أصبح زوجة صياد! أنا جميلة كالمورغان، لن أتزوج إلا أميراً أو ابن أحد النبلاء المعروفين يكون ثرياً وقوياً. أو على الأقل بمورغان.

وصادف أن سمع كلماتها عجوز من المورغان كان مختبئاً خلف إحدى الصخور أو تحت أعشاب البحر. فأمسك بمونا وسحبها إلى قاع البحر.

ركضت الفتيات إلى القرية ليخبرن والدة مونا بالمصيبة. رمت جانا كيربيلي، التي كانت تحيك عند عتبة بيتها، الكتان والمغزل وأسرعت إلى البحر. نادت ابنتها بصوت عال ودخلت إلى الماء حيث اختفت مونا، ولم تخرج إلى الشاطئ إلا بعد وقت طويل. لكن عبثاً، لم يستجب أحد لبكائها ونداءها القلق.

وسرعان ما انتشر خبر اختفاء مونا في الجزيرة كلها، ولم يستغربه أحد كثيراً. « مونا ابنة مورغان،- قال الناس.- يبدو أن أباها أخذها إلى البحر».

اختطف ملك المورغان في جزيرة أويسان مونا. حمل الفتاة إلى قصره الذي كان أعجوبة حقيقية تحت الماء، لا يمكن مقارنته بأجمل قصر ملكي على سطح الأرض.

كان لدى المورغان العجوز ابن من أجمل مخلوقات المورغان. وقع الشاب في غرام مونا، وطلب من والده الإذن للزواج منها. لكن الملك أخبر ابنه أنه لن يسمح له أبداً بالزواج من ابنة الأرض.

- في مملكتنا كثير من الفتيات الجميلات، كل منهن تتشرف بأن تصبح زوجة ابن الملك. اختر واحدة منهن وسأبارك زواجكما. — قال الملك.

شعر المورغان الشاب باليأس، وأعلن لوالده أنه لن يتزوج أبداً إن لم يسمح له بالزواج من مونا ابنة الأرض التي يحبها. لكن الملك بقي على رأيه. وأجبر ابنه على خطبة فتاة تشتهر بجمالها إضافة إلى كونها ابنة أحد النبلاء المعروفين. حُدِّد موعد العرس ودُعي الكثير من الضيوف.

انطلق موكب عرس فاخر إلى الكنيسة، فعلى الرغم من أن سكان البحر هؤلاء غير معمّدين إلا أن لهم ديانتهم وكنائس ما تحت الماء. ويقولون أن لديهم أساقفتهم أيضاً، ويؤكد غولفين بيندوف وهو بحار عجوز من جزيرتنا جاب جميع البحار على وجه الأرض، أنه رآهم أكثر من مرة.

أمروا مونا المسكينة بالبقاء في القصر وتحضير الغداء لحفلة العرس. ولكنهم لم يعطوها أي شيء لتطبخه، لا شيء على الإطلاق، ولم تكن هناك في المطبخ سوى أوان وقدور فارغة.

قال المورغان العجوز لمونا قبل أن يغادر أن الأطعمة يجب أن تكون على المائدة لدى عودة الجميع من الكنيسة، وإلا فسيكون مصيرها الموت. احكموا بأنفسكم على المصيبة التي وقعت فيها المسكينة.

حين اقترب الموكب من الكنيسة هتف العريس فجأة:

- آه، لقد نسيت خاتم العروس في القصر!

- أخبرني بمكانه وسأرسل أحداً لإحضاره.- قال الأب.

- لا، لا. سأذهب بنفسي لإحضاره، فلن يجده أحد غيري. سأعود على الفور.

وغادر دون أن يسمح لأحد بمرافقته. ما إن عاد المورغان الشاب إلى القصر، اتجه من فوره إلى المطبخ حيث مونا المسكينة تبكي يائسة.

- لا تحزني،- قال لها.- سيكون الغداء جاهزاً في وقته. اعتمدي في كل شيء علي.

اقترب من الموقد وقال:

- أوقدي الموقد أيتها النار الطيبة.

على الفور اشتعلت النار في الموقد. بعدها بدأ الأمير بلمس كل طنجرة، كل قدر، كل سيخ وكل طبق بالترتيب قائلاً:

- في هذا القدر لحم السلمون، في هذا لحم سمكة موسى مع المحار، على السيخ بطة، وهنا سمك الإسكمري، في الأباريق خمر وشراب حلو..

فامتلأت الطناجر، القدور، الأطباق والأباريق بالمأكولات والمشروبات. لم تصح مونا من الدهشة، أما المورغان الشاب فأسرع إلى اللحاق بالموكب.

وصل الموكب إلى الكنيسة وقام أسقف بحري بأداء طقوس الزواج، بعدها عاد الجميع إلى القصر. ذهب الملك العجوز إلى المطبخ وقال لمونا:

- لقد عدنا. هل الغداء جاهز؟

- جاهز.- أجابت مونا بهدوء.

رفع ملك المورغان المذهول الأغطية عن القدور والطناجر، ونظر في داخل الأباريق.

- هناك من ساعدك،- قال وعدم الرضا يظهر على وجهه، ثم أضاف:- سأسوّي حسابي معك لاحقاً.

جلس إلى الطاولة. أكل الضيوف وشربوا كثيراً، ثم بدأ الغناء والرقص. وفي منتصف الليل نهض الجميع عن المائدة. أمر المورغان العجوز مونا أن تأخذ شمعة، وترافق العروسين حتى غرفة النوم. أطاعت مونا.

ذابت الشمعة تقريباً، فقال العريس لزوجته الشابة:

- امسكي لبعض الوقت الشمعة التي تحملها مونا كي تتمكن من إشعال واحدة أخرى.

ما إن أخذت العروس الشمعة حتى دخل الملك العجوز إلى غرفة النوم، اندفع نحوها وبضربة واحدة من سيفه قطع رأسها، ثم استدار وغادر.

في صباح اليوم التالي أتى العريس إلى والده وقال:

- أتيت لأطلب موافقتك على الزواج يا أبي.

- الزواج؟ ألم نحتفل بعرسك في الأمس؟

- لقد ماتت زوجتي.

- كيف ماتت؟ قتلتها أيها البائس؟

- لا يا أبي، أنت من قتلها.

- أنا قتلت زوجتك؟

- أجل يا أبي. ألم تقطع بضربة من سيفك ليلة البارحة رأس زوجتي التي كانت تحمل الشمعة المشتعلة؟

- ابنة الأرض هي التي كانت تحمل الشمعة المشتعلة.

- لا يا أبي، تلك كانت زوجتي التي تزوجتُها بإرادتك. والآن أصبحتُ أرملاً.

- بمن تريد الزواج إذن؟

- بابنة الأرض.

في البداية غضب الملك العجوز وطرد ابنه. لكنه أدرك بعد عدة أيام أن محاربة الحب عبث، وبارك زواج ابنه بمونا.

أحب المورغان الشاب زوجته الجميلة كثيراً فأهداها حلياً ثمينة من لؤلؤ البحر، قواقع ذهبية، وأندر الزهور البحرية. لكن مونا كانت مشتاقة للأرض، لوالدها ووالدتها، ولبيتهم الفقير على شاطئ البحر.

خشي الزوج ألا تعود فلم يسمح لها بالذهاب. لكن مونا لم تعد تفرح كالسابق بالزهور ولا بالحلي. كانت تبكي ليل نهار. أخيراً قال لها المورغان الشاب:

- حسناً، سآخذك إلى بيت أبيك.

فرحت مونا، بينما لوح المورغان بيده وقال:

- ارتفع أيها الجسر.

وفي اللحظة ذاتها امتد جسر كريستالي جميل من قاع البحر إلى الشاطئ. حين رأى المورغان العجوز ذلك قال:

- وأنا سأرافقكما.

صعد ثلاثتهم إلى الجسر، مونا في المقدمة يتبعها زوجها وخلفه المورغان العجوز. لكن ما إن وطأت مونا وزوجها الأرض حتى قال المورغان الشاب:

- اهبط أيها الجسر!

وهبط الجسر إلى أعماق البحر حاملاً معه الملك العجوز. قال الزوج لمونا:

- سأنتظرك على الشاطئ. عودي فور مغيب الشمس. وإياك أن يقبّلك أحد.

وعدت مونا أن تنفذ رغبته وركضت نحو منزلها. كان وقت الغداء، والعائلة بأسرها مجتمعة حول المائدة.

- مرحباً يا أبي وأمي! مرحباً يا إخوتي وأخواتي!- صرخت مونا وهي تدخل إلى البيت.

تجمد أفراد العائلة دهشة وهم ينظرون إلى مونا ولم يعرفوها، فقد بدت

رائعة الجمال في ثيابها الفاخرة! لم تفهم مونا سبب استقبالها بهذا البرود في منزلها، فترقرقت الدموع في عينيها. سارت في البيت تلمس الأشياء بيدها قائلة:

- هذا الحجر أحضرناه من الشاطئ، وكنت أجلس عليه قرب الموقد. وهذا هو السرير الذي نمت فيه. ها هي الزبدية الخشبية التي أكلت منها الحساء. وهناك خلف الباب المكنسة التي كنست بها البيت. وها هو الإبريق الذي عبأت فيه الماء من النبع.

بعد أن سمعوا ذلك، صدق الأهل أخيراً أنها مونا، وبدؤوا يعانقونها ويقبلونها وهم يبكون من السعادة.

لم يكن عبثاً تحذير المورغان الشاب لمونا، فمنذ هذه اللحظة لم تعد تذكر شيئاً عن زواجها وعن شعب المورغان. بقيت مونا لتعيش عند أهلها، وسرعان ما تقدم لها خطّاب من كل الأنحاء. كان الخطّاب كثر لكن مونا لم ترغب في الزواج.

كان والد مونا، مثل كل سكان الجزيرة، يملك قطعة أرض يزرع فيها خضاراً متنوعة ويبذر الشعير. ويكفيه مردود الأرض لإطعام عائلته، إضافة إلى ما يمنحه له البحر يومياً من أسماك وقواقع. وخلف البيت، بيدر يدرس فيه القمح وأكداس مكوّمة من القش.

في معظم الأحيان، حين تستلقي مونا في سريرها ليلاً يخيّل إليها أنها تسمع نواحاً وشكوى يحملهما من المحيط صوت الريح والضجيج المكتوم للأمواج. ظنت في البداية أنها أرواح الغرقى تنادي الأحياء كي يتلوا صلاة من أجلهم، فتفكر بحزن بمن كان في البحر في مثل هذا الطقس، ثم تهمس بصلاة الموتى وتغرق في النوم.

لكن في إحدى الليالي ميزت مونا بوضوح الكلمات التي لفظها صوت بائس إلى درجة تمزق القلب:

– آه يا مونا! نسيت سريعاً زوجك المورغان الذي يحبك أكثر من الحياة نفسها! وعدته أن تعودي في نفس اليوم ولم تفعلي. ومن حينه وأنا أنتظرك بائساً جداً. آه يا مونا، عودي بسرعة.

فجأة تذكرت مونا كل شيء، خرجت إلى البيدر وشاهدت المورغان الشاب. اندفعت إلى أحضانه.. ومنذ ذلك الوقت لم يرها أحد أبداً.

الغالي الصغير

حكاية إسبانية

كان هناك صبي يعيش في إحدى المدن الصغيرة في غاليسيا التي تقع على حافة الأرض الإسبانية، حيث تتحطم أمواج البحر على الصخور المنحدرة. لم يكن له أقارب سوى أخيه الأكبر، الذي سافر إلى مدينة قادش البعيدة الرائعة، حيث ترتفع صواري السفن كالغابة فوق البحر الأزرق، ويهب الهواء الدافئ في الأشرعة المرحة وينفخها. هناك، كان الأخ الأكبر يحمل أكياس التوابل الثقيلة من السفن إلى الشاطئ ويكسب من ذلك أجراً لا بأس به، أما الأخ الأصغر الذي بقي في الديار فقد اضطر لكسب قوته بنفسه. لكن ليس عبثاً أن الصبي ولد في غاليسيا، فقد كان جريئاً ولا يعرف معنى اليأس. وهكذا بدأ يبيع الماء المحلى باليانسون، لأنه لم يستطع الحصول على أية بضاعة سوى الماء. ومن الصباح إلى المساء يُسمع صوته الرنان في شوارع المدينة: « من يشعر بالعطش؟ من يرغب في أن أصب له كأس ماء بارد رائع؟!».

دفع الفقراء والسادة على السواء قطعاً نقدية صغيرة للصبي مقابل كأس من الماء اللذيذ. ولّت أيام الحر، وهبت ريح باردة من المحيط، ولم يعد أحد يشتري الماء من الغاليّ الصغير النشيط. عندها قرر الصبي أن يسافر إلى أخيه الأكبر في مدينة قادش الرائعة، الممتدة على شاطئ البحر الأزرق الدافئ. ذهب إلى المرسى وتكلم مع قبطان سفينة كبيرة ذات علم ملكي على الصارية.

- سنيور قبطان،- قال الصبي.- خذني من فضلك إلى مدينة قادش الرائعة حيث ترتفع الصواري كالغابة فوق الأمواج، وينفخ الهواء الدافئ الأشرعة المرحة.

وضع القبطان يديه في جيبي سترته المطرزة بالفضة وأجاب:

- حسناً، سأصطحبك إن دفعت لي دوبلِنَين.

- لا أملك حتى بيزيتا واحدة!- ردّ الصبي.- ألا توجد أماكن أرخص على سفينتك الكبيرة؟

ضحك القبطان بصوت عال:

- لا يليق بفقير مثلك الإبحار تحت العلم الملكي. من الأفضل أن تبحث عن سفينة قذرة، تصحب صعاليكَ من أمثالك.

توجّه الصبي إلى قبطان إحدى السفن القديمة ذات أشرعة متسخة وممزقة. وقال بعد أن انحنى باحترام:

- سنيور قبطان، خذني من فضلك إلى مدينة قادش الرائعة حيث ترتفع الصواري كالغابة فوق الأمواج، وينفخ الهواء الدافئ الأشرعة المرحة.

أخرج القبطان غليونه المعقوف من فمه ودمدم:

- سآخذك إن دفعت بيزيتتين.

- لا أملك حتى فلساً واحداً!- أجاب الصبي.- إن سفينتك رائعة بما يكفي كي تأخذني مجاناً.

- احتفظ بمزاحك السخيف لشخص آخر.

ضحك الصبي:

- المزاح الجيد أغلى من المال يا سينيور.

- يكفي غناءً. أغرب من هنا.- زمجر البحار.

- أنت محق يا سينيور،- أكمل الصبي الغالي.- الأغنية غالية فعلاً، وأنا مستعد أن أبرهن لك على ذلك بالفعل.

- كيف ستبرهن لي؟- تعجب القبطان.

- آه أيها السنيور المحترم،- قال الصبي وهو ينحني بتحية.- دعنا نعقد اتفاقاً: إن أعجبتك الأغنية التي سأغنيها، ستوصلني بسفينتك إلى قادش دون أن تطلب فلساً لقاء ذلك.

- حسناً،- أجاب القبطان لاوياً فمه.- لكن فلتعلم أنني لا أطيق الأغاني، فإن لم تعجبني سأرميك عن سطح السفينة كجرو.

قفز الصبي بمهارة إلى سطح السفينة القديمة، وبعد قليل صارت السفينة في عرض البحر. كانت تقفز من موجة إلى موجة، وتتمايل من جانب إلى آخر، أما القبطان فيجني المال من المسافرين الذين وثقوا بسفينته المهترئة. أخيراً اقترب من الغالي الصغير.

- ادفع،- قال القبطان بوجوم، لكن الصبي غنى بصوت رنّان بدل أن يمد يده إلى جيبه ليخرج المال، دون أن يعبأ برذاذ الماء المالح الذي يرش كل من يقف على سطح السفينة من الرأس حتى القدمين:

- لا تساومني أيها السنيور القبطان

فأنت تقدّم المياه المالحة للجميع

أما أنا فأقدّم المياه الحلوة

أخبرني هل سوّي الحساب بيننا؟

ما إن سمع البحارة هذه الأغنية حتى انفجروا بضحك صاخب، لكن القبطان الصارم لم يبتسم.

- هات المال أيها الصعلوك!- قال بغضب.- أغنيتك لا تعجبني.

لكن الصبي صار يغني بصوت أكثر ارتفاعاً لدرجة أنه طغى على صوت تلاطم الأمواج التي تسوط سطح السفينة، وتبلل أقدام البحارة والركاب:

- عبثاً لا تعجبك أغنيتي

يمكنك أن ترميني عن سطح السفينة بالطبع

لكن البحر كله بمائه المالح

لا يستحق بيزيتا واحدة

لكن القبطان لم يسمح له بإتمام أغنيته.

- صبي وقح!- صرخ القبطان.- أعطني المال وإلا أغرقتك في البحر كالجرو.

عندها بدأ الصبي الذي لا يعرف اليأس الغناء مجدداً:

- لا تخوّفني أيها السنيور القبطان!

لا أريد أن أموت غرقاً كالكلب

الأفضل أن أمد يدي إلى جيبي

المثقوب وأخرج منه النقود!

- هذه الأغنية تعجبني!- قال القبطان وهو يمد يده لأخذ النقود، لكن الصبي أبعدها وضحك في وجه القبطان:

- أنا أعتمد على كلمتك يا سنيور قبطان. الاتفاق أثمن من المال. فما دامت أغنيتي قد أعجبتك فمعنى ذلك أننا صفّينا حسابنا.

ما كان أمام القبطان إلا أن يلوح بيده، ويأمر البحارة بضخ الماء من السفينة الرائعة. وبعد ثلاثة أيام وصل الغاليّ الصغير إلى قادش، والتقى على شاطئ البحر الأزرق بأخيه الأكبر الحبيب.

المحيط والقمر

الرسالة الخامسة

لم يستقبلنا المحيط الأطلسي بترحاب، فما إن غادرنا جبل طارق ودخلنا خليج الباسك حتى هبت عاصفة مخيفة. لكن مقابل ذلك شاهدنا لأول مرة مداً وجزراً حقيقيين.

يئن المحيط الرمادي المتجهم، وتتدحرج أمواجه العملاقة بعناد على الشاطئ الصخري. يأتي الليل، ولا يسمع سوى تلاطم الأمواج في اللجة غير المحدودة التي امتزجت فيها السماء بالماء والأرض. لكن.. ها هو الأفق يظهر تدريجياً. تتلصص لونا بعين واحدة من خلف الجبال البعيدة محمرّة من الاستياء، ثم تستجمع شجاعتها وتظهر كلها صاعدة باحتفالية على الدرجات السماوية. تفرد جدائل أشعتها الفضية، وتكمل طريقها فيزداد وجهها ضياءً وحُسناً وهو يلمع بابتسامة عريضة. وتحت نظرتها الساطعة، يسبح كل شيء في ضوء فضي وتحدث المعجزات.

يهدأ المحيط المتعب. لا يجرؤ على التنفس أو الحركة مسحوراً بجمال لونا.

لكنه سرعان ما يسترد أنفاسه، ويندفع باتجاهها مرتجفاً وقلقاً. يرتفع على أصابع قدميه، يمد نحوها ألف يد- موجة محاولاً الوصول إليها.

إنه الجزر. تهرب الأمواج من شاطئ البحر إلى فضاءات المحيط المفتوحة معرّية الشاطئ. تتقدم اليابسة. تكشّر الصخور، ويحتسي الرمل بجشع آخر قطرات الماء، تاركاً في بعض المناطق فقط، برك مياه صغيرة مزبدة بين الحجارة. تتحول الطحالب الفاخرة إلى خرق بائسة بعد تعرضها للهواء. تحل المصيبة على سكان البحر الذين لم يجاروا المحيط في سعيه نحو لونا، بل حاولوا إيقافه، استمهاله وقد تمسكوا بملابسه المائية. حكم عليهم بالهلاك، فهو يهرب بسهولة من مختلف الأسنان، المجسات والملاقط تاركاً أصحابها لليابسة.

يرتعش المحيط وهو ينتظر طويلاً لونا في طور اكتمالها ، ثم يسعى للوصول إليها ولمسها بحنان برؤوس أمواجه. يتأرجح، يتنهد ثملاً، مبهوراً وعاشقاً. لكنه لا يستطيع الوصول إليها. فالأرض تمسكه في أحضانها ولا تفلته. ويبدو أن لونا أيضاً لا تلاحظ اندفاعاته، تتمشى شاردة فوق الندى البنفسجي للفضاءات السماوية. تسقط جدائلها الفضية فقط على صدر المحيط القلق، أما هي فتبتعد مرتفعة أعلى وأعلى.

يتنهد المحيط بحزن، يئن أنيناً ممدوداً شاكياً وفجأة ينقضّ على اليابسة بغضب. يصطدم بالشاطئ وهو يزأر بشكل مخيف، ينتقم من الأرض التي منعته من الوصول إلى لونا..

إنه المد. تسرع الأمواج راكضة إلى صخور الشاطئ، ويعود المحيط إلى مرقده الذي تركه. وتحل المصيبة بكل من يحاول اعتراض طريقه في هذه اللحظة، ستمسحه لجة البحر، تدوّره في دوامة رغوية وتسحبه إلى القاع. وينتظره الموت لأن المحيط لا يرحم وهو في حالة غضبه.

يتكرر هذا منذ العصور الغابرة. يتناوب المد والجزر كحبات المسبحة، ويشتدان في فترة اكتمال لونا. فالمحيط ابن الأرض، ولونا ابنة السماء.

.. في قديم الزمان ولد للأرض ابن اسمه المحيط.

أطعمته الأرض عصائرها فكبر شاباً جموحاً. كان قلبه الحار يخفق باضطراب، دمه يغلي ويرفع صدره القوي. يتعطش لرؤية وتجربة كل شيء. وحين كبر، لاحظ لونا الجميلة. كانت ابنة للسماء، أختاً للشمس والنجوم. تتمشى كل يوم مع أخواتها في المجرات السماوية. كان وجهها جميلاً كما في الحكايات الخرافية، جدائلها رائعة، ابتسامتها تغزو القلوب. ومن النظرة الأولى يصبح الجميع سجناء حبها. كان المحيط يراقبها بعينيه ويتنهد في السر. وأخيراً لم يعد يحتمل، فقال للأرض:

- لم أعد أطيق العيش دون لونا يا أمي، أريد أن أتزوجها.

- مازلت صغيراً يا بني، هائجاً وأخضر، مازال الوقت باكراً على التفكير بالزواج.- حاولت الأرض أن تثنيه لكنه ألحّ:

- اخطبي لي لونا يا أمي وإلا مرضت وذويت، وتبخرتُ حتى آخر قطرة من الحزن..

رأت الأرض عشقه اللاواعي فقالت للسماء:

- استمعي لتوسلاتي، زوّجي ابنتك لونا من ابني.

- ها ها ها.- ضحكت السماء بعجرفة.- كائنة ضئيلة ما تتجرأ وتطلب ابنتي الإلهية زوجة لابنها، ها ها ها. لن أعطيه ابنتي.. الأحرى بي أن آخذه إلي..

- الرحمة!- ارتعشت الأرض من الخوف، واكتسى وجهها كله بالتجاعيد.- ارحميني ولا تأخذيه إليك! إنه ابني الوحيد، فأنت لديك ابنتك الشمس وآلاف مؤلفة من البنات النجمات.

- لا حاجة لي به إطلاقاً! لا لي، ولا لابنتي الإلهية.

- إنك مخطئة أيتها السماء المتعجرفة!- صرخ المحيط فجأة.- سأتزوجها! ويوماً ما سأفتح لها قلبي..

- لن تتمكن من ذلك لأنكما لن تلتقيا أبداً! فمنذ هذا اليوم لن أسمح لها إلا بالنزهات الليلية، حين يلف الظلام الكون ولا يمكن رؤية شيء.

نفذت السماء تهديدها. صرخ المحيط المسكين ونادى لونا لكنها كانت بعيدة جداً جداً، فلم يصل صوته إليها.

بكى المحيط:

- دعيني أذهب إلى لونا يا أمي العزيزة.

لكن الأرض كانت تعرف أن ذلك بمثابة الموت لابنها، فأمسكته بقوة أكبر في أحضانها. حاول الإفلات بجنون لكن أمه لم تفلته، وتوسلت إلى سكان البحر:

- أمسكوه يا أعزائي، ساعدوني وإلا حلت نهايتكم.

استجاب جميع سكان البحر إلى نداء الأم وأمسكوا ابنها من أطراف ملابسه المائية وحاولوا إيقافه.

أما المحيط فحاول التحرر، اندفع بكل قواه ولطم بأمواجه غاضباً..

ويتكرر الأمر نفسه كلما اكتملت لونا.

يحاول المحيط الوصول إلى لونا، لكن الأرض تمسكه في أحضانها بقوة فيفرغ غضبه فيها. يستمر هذا حتى الآن. وسيستمر إلى الأزل، لأن المحيط غير قادر على نسيان لونا، فحبه قوي وأبدي تماماً مثله هو.

يحكي سكان
شواطئ المحيط الأطلسي

بحر ويلز المالح

حكاية من ويلز

ذات مرة في أوج الصيف، حينما لم يكن البحر مالحاً بعد، والنساء كن كالنساء، والسمك كالسمك، ولد ثلاثة أخوة في البيت المدهون بالطلاء الأصفر القائم على طريق كبير في ويلز. حين كبر الإخوة، صار «غلين» يحرث الأرض، «لين» يجوب المحيط، أما أصغر الأخوة «مولدفين» فلم يبذر ولم يحرث بل داس على الأرض فقط. أصبح غلين ثرياً وصار يأكل الخبز مع العسل، وأصبح لين ثرياً وصار يأكل التفاح مع الجبن، أما مولدفين وزوجته فيمشيان في الطرقات متعبين، لا يملكان سوى فراغاً في المعدة متساوياً لدى كليهما. وكلما صادفا في طريقهما بيتاً مدهوناً بالطلاء الأصفر، يطرقان الباب ويطلبان هدية. أخيراً فَقَد غلين الصالح آخر ما تبقى له من صبر. « أعرف ما عليّ فعله كي أتخلص من هذين الشحاذين إلى الأبد»، - فكر غلين.

- إن أهديتك خنزيراً، بماذا ستعدني يا أخي؟ - سأل غلين مولدفين.

- بكل ما ترغب يا أخي العزيز، بكل ما ترغب.

- حسناً، الوعد هو الوعد. إليك هذا الخنزير، والآن يا أخي اذهب إلى الشيطان.

- أجل، الوعد هو الوعد،- وافق مولدفين.- لكن أولاً ناد كلبك الذي يعض ساقي في هذه اللحظة بالذات ولن أزعجك بعد الآن.

سار مولدفين وزوجته طوال اليوم، يجرّان خلفهما الخنزير المربوط بحبل، باحثين عن الشيطان في كل مكان. وفي المساء اقتربا من بيت يتدفق النور من بابه، وشاهدا عجوزاً أشيب ذا لحية بيضاء طويلة يتمشى في الحديقة في برودة المساء، يرتدي ملابس الرعيان، سروال ذي مربعات وسترة جلدية قصيرة.

- طاب مساؤك،- حيّاه باحترام.- أعذرنا ولكن بالمصادفة، هل أنت الشيطان؟

- على العكس،- أجاب العجوز.- يمكن القول إنه ليس لدي في العالم كله صديق واحد. لكن إن كنتما تبحثان عن المستر شيطان، فأنا أعرفه جيداً. حتماً ستجدانه في البيت المسمى بالـ «جحيم»، هناك في الأسفل، في الوادي. إنه يحب كثيراً المشاوي على السيخ، وحين يرى خنزيركما فسيطلب فوراً أن تبيعاه له. استمعا لنصيحتي يا عزيزَيّ، ولا تعطياه الخنزير مقابل أي شيء سوى طاحونة يدوية موجودة في مطبخه خلف الباب. ستطحن لكما هذه الطاحونة كل ما تشتهيان، وهي تطحن بسرعة لكن ليس بنعومة شديدة. مُرّا بي في طريق العودة، وسأرشدكما بسرور إلى طريقة استخدامها.

شكر مولدفين وزوجته العجوز ونزلا إلى الوادي. أخيراً شاهدا بيتاً كبيراً مكتوباً عليه «الجحيم»، فطرقا الباب بقوة. وفي نفس اللحظة فُتح الباب وجرّ خدم وأصدقاء المستر شيطان الضيفين إلى البيت. كانوا يحركون الفحم في

الموقد بأنوفهم، ويتفحصون الخنزير مادين ألسنتهم التي يقطر منها اللعاب. وعلى الفور عرض المستر شيطان مقابل الخنزير ألف سنة من الحياة.

- ألف شكر لك على كرمك،- أجاب مولدفين.- وعلى ضيافتك. لكنني أنا وزوجتي جمعنا المال اثني عشر شهراً ويوم كي نأكل هذا الخنزير اللذيذ في عيد الميلاد، والصيف الآن في أوجه.

هنا لكزته الزوجة فأضاف بسرعة:

- حسناً، أنا إنسان طيب، ولا يوجد أطيب مني في العالم كله، ودائماً أتأذّى بسبب طيبتي. حسناً سأعطيك الخنزير كيلا تأخذ على خاطرك مني، دون مقابل مادّي، مجاناً، وسأقايضك عليه بطاحونة يدوية موجودة في مطبخك خلف الباب.

في البداية لم يرغب المستر شيطان سماع شيء بهذا الخصوص، بل عرض أن يحقق لمولدفين أي أمنية مقابل الخنزير، يعطيه مثلاً منصباً في الحكومة،

أو يميت أقاربه الكريهين بسم الجرذان، أو يغطي بالشعر بقعة الصلع التي تلمع على رأسه.

لكن مولدفين قال:

- أنا أحب جميع أقربائي!

أما زوجته فهمست بابتسامة مصطنعة:

- إنها ليست صلعة، لكن النور يسقط على رأسه بطريقة غير موفقة.

أي أنهما لن يقبلا إلا بالطاحونة اليدوية وانتهى الأمر.

أصبحت أرض «الجحيم» زلقة من كثرة اللعاب، وصرخ الخدم والأصدقاء:

- الخنزير! الخنزير! أعطنا الخنزير! أعطنا الخنزير وإلا هلكنا!

واضطرّ المستر شيطان للتراجع وإعطاء الطاحونة لمولدفين. وفي أثناء ذلك كان الخنزير يلتصق بمولدفين وزوجته، ويمكنكم أن تتصوروا كم زعق حين دسّه المستر شيطان تحت إبطه.

سار مولدفين وزوجته في طريق العودة. سارا وسارا إلى أن شاهدا العجوز ذا اللحية البيضاء الطويلة. شرح لهما العجوز باسماً كيفية استعمال الطاحونة، والأهم من ذلك كيفية إيقافها. فانطلق الزوجان إلى شاطئ البحر وشغّلا الطاحونة وهما يرتجفان من قلّة الصبر. في البداية طلبا منها بيتاً، ثم شموعاً لإنارة البيت، ثم طاولة وكراسي ومختلف الأطعمة والأشربة.

- يا له من أمر،- قالا.- ليتهم يرسلوننا إلى الشيطان دائماً!

أخيراً طلبا من الطاحونة ديكاً حسناً بمهمازين ذهبيين وعرف أرجواني كي يوقظهما باكراً في الصباح، لأن عليهما أن يشغلا الطاحونة.

وهكذا عاشا بسعادة وفرح حتى موعد الحصاد. وحين حان موعد الحصاد أمر مولدفين الطاحونة بإقامة حفلة، أما هو فانطلق في عربة تجرها أربعة جياد

إلى البيت المطلي باللون الأصفر ودعا إلى الغداء في منزله الجديد أخاه غلين، الذي كان يحرث الأرض. استدارت عينا غلين من الدهشة ورغم ذلك لبى الدعوة، لكنه لم يذهب وحده بل نادى جميع جيرانه. تجمد الجميع من الدهشة حين شاهدوا الأشربة والأطعمة، الأطباق الذهبية والكؤوس المصنوعة من عظم الفقمة. «البارحة فقط لم يكن لديهما بنس واحد، أما اليوم فهما أكثر ثراءً من بائعي الحليب والملوك».

- أخي،- قال غلين متوسلاً.- من أين أعطاك الشيطان كل هذا الثراء؟

- من خلف باب المطبخ.- أجاب مولدفين بصراحته ولكن بحذر.

وبعدها لم يستطع غلين أن يسحب كلمة أخرى منه، إلى أن ذهب جميع الجيران في حال سبيلهم. وهكذا ظل غلين يُسكر أخاه ويتزلف له، إلى أن أخبره بكل شيء عن الطاحونة. لم يخبره فقط عن طريقة إيقافها.

حين سقط مولدفين فوق الرماد أمام الموقد يشخر بعمق، أخذ غلين الطاحونة وانطلق مترنحاً إلى البيت المطلي بالطلاء الأصفر. وفي الصباح قال لزوجته:

- اذهبي إلى الحقل واحصدي الصف الأول من الشعير. أما الغداء فسأحضّره أنا بنفسي.

وما إن أغلقت الزوجة الباب خلفها حتى أخرج الطاحونة، وضعها أمامه على الطاولة ونظر إليها بحب. « في البداية،- قال لنفسه.- سأطلب منها خادمات ليحضّرن لي غداء فاخراً ويحرصن في أثناء ذلك على خدمتي. ولا مانع إن كن حسناوات أيضاً».

دقّ على برميل الجعة فأدرك أنه فرغ تقريباً.

« وسأطلب منها أيضاً جعة تملأ البرميل حتى حوافه»، فكر. وقال بعد أن التفت إلى الطاحونة:

- اطحني، اطحني يا طاحونة،

الأسود والأبيض.

اطحني، اطحني يا طاحونة،

فتيات وجعة.

وما إن لفظ هذه الكلمات حتى تدفقت جعة قوية من البرميل كموجة، وعلى سفح الموجة شاهد أولاً حسناء سمراء، ثم شقراء ثم حمراء وبيضاء، وصفراء، أما الجعة فاستمرت بالتدفق كالنهر، وأغرقت المنزل مقدار قدم كاملة.

- يكفي!- صرخ غلين.- أقول لك كفى! توقفي أيتها الطاحونة! توقفي على الفور أتسمعين؟

لكن الطاحونة لم تتوقف، وسرعان ما سبح غلين والحسناوات في الجعة حتى رقابهم ولم يستطيعوا الخروج منها. وهنا فتحت الجعة النوافذ والأبواب بدفقها القوي واندفعت إلى البحر في تيار رغوي. حمل التيار في طريقه زوجة غلين التي لم تكد تشرب رشفة حتى فقدت الإحساس باليابسة تحت قدميها، وغرقت حتى عنقها في الجعة التي كان يتخبط فيها زوجها والفتيات. كانت الفتيات يمرحن في الجعة كالفئران في القش، فهن لم يعرفن شيئاً آخر في حياتهن، أما غلين وزوجته فسرعان ما غرقا. وهناك يستلقيان، ولا يصدران حتى الفقاقيع.

أما مولدفين فقد سمع الضجيج والصراخ الآتيان من بيته على شاطئ الخليج، وأدرك على الفور من سرق الطاحونة. تسلق الهضبة الخضراء التي ترتفع خلف المنزل المطلي بالطلاء الأصفر وأمر الطاحونة بالتوقف. وحين انخفض منسوب الطوفان، حمل الطاحونة إلى منزله ثم طلب منها قرميداً ذهبياً لسطح بيته كي يسطع ويلمع من بعيد فوق بحر ويلز.

لم يمر أسبوع حتى وصل أخوه لين، ذاك الذي يجوب المحيط، إلى الخليج بسفينته ذات الصواري الثلاث المحملة بالملح. واستغرب حين لاحظ أن رائحة المياه في الخليج تعبق برائحة الجعة وتعج بحوريات البحر، ولم يحزن كثيراً رغم أنه فقد على الفور بحارين قفزا إلى الماء عن سطح السفينة. وسرعان ما علم

بالذي جرى في البيت المطلي بالطلاء الأصفر. أصبحت عيناه من الدهشة أكثر استدارة من كوى السفينة، وذهب لزيارة أخيه مولدفين.

« البارحة لم يكن لديهما بنس واحد، أما اليوم فهما أثرى من القضاة والأدميرالات»- فكر لين وتوسل إلى أخيه سائلاً:

- من أين أتاك الشيطان بهذا الثراء يا أخي؟

- من خلف باب المطبخ.- أجاب مولدفين.

صار لين يُسكر أخاه ويتزلف له، وأخيراً أخبره مولدفين بكل شيء عن الطاحونة. لم يخبره فقط عن طريقة إيقافها.

- هل يمكنها طحن الملح؟- سأل لين.

- يمكنها أن تطحن كمية تكفي لتمليح البحر كله.- أكد له مولدفين.

لم يقل لين شيئاً بهذا الخصوص، لكنه فكر أنه لا مانع من أن يحصل قبطان فقير على طاحونة مثل هذه، تطحن له الملح فلا يعود بحاجة إلى أن يحمّل الحمولة من بلدان غريبة في العواصف والطقس السيئ. وحين سقط أخوه في الرماد قرب الموقد وبدأ الشخير، حمل الطاحونة وسار مترنحاً إلى سفينته ذات الصواري الثلاث. وعلى الفور رفع الأشرعة. حين أصبح خليج كارديغان بعيداً عن السفينة، وضع لين الطاحونة أمامه على سطح السفينة وقال بحب:

- اطحني، اطحني يا طاحونة

طالما تستطيعين أن تطحني،

اطحني، اطحني يا طاحونة

ملحاً كثير الملوحة.

بدأت الطاحونة تطحن. وسرعان ما غطى الملح وكأنه ثلج، سطح السفينة بأكمله، وبدأ البحارة بتسلق الصواري كيلا يغرقوا فيه، وطبعاً كان لين في مقدمة

المتسلقين. لكن كلما صعد البحارة أعلى، كانت كومة الملح تزداد ارتفاعاً وراءهم. وأخيراً أصبح الملح كثيراً حتى غرقت السفينة، وتملّح الطاقم كله.

بعد ذلك بفترة وجيزة مر عجوز ذو شعر أشيب ولحية بيضاء طويلة في الطريق الويلزية الكبيرة. شاهد الحوريات في الخليج والملح في البحر.

- غريبة هي الطرق التي أصنع بها معجزاتي.- قال العجوز.

وقرر أن الأمر جيد هكذا، وترك الحوريات حيث هن، وكذلك الطاحونة. وهي تطحن الملح حتى اليوم. ولهذا السبب فالبحر المحيط بويلز أكثر ملوحة من البحار الأخرى، ويزداد ملوحة كل يوم كما نعرف.

الفقمة ماك - كودرام

حكاية اسكتلندية

حدث هذا في قديم الزمان، قبل أن ينطلق البحارة الأوائل في أسفارهم البعيدة ليعرفوا ماذا يختبئ خلف الأفق. عاش ملك وملكة البحار بسلام وسعادة. وكان لديهما أطفال رائعين ممشوقين، ذوي عيون عسلية، يلعبون طوال اليوم مع أفراس البحر في الخمائل القرمزية لشقائق النعمان البحرية التي تنبت في قاع المحيط. كانت مخلوقات البحر الخرافية هذه تحب الغناء، وأينما سبحت يرافقها الغناء وكأنه ضحك الأمواج.

وذات يوم، ألمّت مصيبة كبيرة بملك البحر وأطفاله الرائعين. مرضت الملكة الأم ثم توفيت، فدفنوها في حيد المرجان وهم يبكون. بعد وفاة الملكة لم يعد هناك من يهتم بالأطفال، أو يمشط شعورهم المجعدة الرائعة ويهدهدهم هدهدة بحرية هادئة. رأى الملك شعر أولاده الرائع يتهدل كالأعشاب البحرية المتشابكة، وسمعهم يتحركون في أسرتهم ليلاً غير قادرين على النوم، فقرر أخيراً أن يجد زوجة جديدة لتهتم بأطفاله.

في أجمة معتمة من الأعشاب البحرية، في أقصى قاع البحر، عاشت ساحرة بحرية. ورغم أن الملك لم يشعر بالحب نحو الساحرة لأن قلبه كان مدفوناً في حيد المرجان حيث تستلقي ملكة البحر، إلا أنه طلب منها أن تصبح زوجته. أما الساحرة ففكرت أنه ليس من السيئ أن تصبح ملكة للبحار تحكم في مملكة هائلة. فكرت، ووافقت على الزواج بالملك.

كانت زوجة أب شريرة أكلتها الغيرة من جمال أطفال الملك، فقررت أن تلقي عليهم سحراً شريراً. ذهبت إلى أدغالها المعتمة، جمعت ثمار عنب البحر الأصفر السام الذي ينبت هناك، وصنعت منه شراباً. فكرت زوجة الأب في أن تحول الأطفال إلى فقمات تسبح في البحر إلى الأزل، ومرة في العام فقط، من شروق الشمس حتى مغيبها تعود لتتحول مجدداً إلى أمراء البحر.

عندما بدأ الأطفال يلعبون مع أفراس البحر في أدغال شقائق نعمان البحر القرمزي، تمددت أجسامهم فجأة، تحولت أذرعهم الرائعة إلى زعانف خرقاء، أما بشرتهم الفاتحة فاكتست بالفراء الرمادي عند البعض، والأسود أو الذهبي عند البعض الآخر. لكن عيونهم العسلية الحنونة لم تتغير، ولم ينسوا الأغاني التي أحبوها كثيراً.

عندما علم ملك البحر ما حل بأطفاله، غضب من الساحرة الشريرة ونفاها لقرون إلى الأدغال المظلمة. لكنه لم يستطع إبطال السحر الذي ألقته على أطفاله. وهكذا سبحت حيوانات الفقمة بعيداً وهي تغني بحزن لأنها لا تستطيع البقاء بعد الآن مع أبيها، في المكان الذي قضت فيه أسعد أيامها في الماضي. نظر ملك البحار في أثرها والدموع في عينيه.

سبحت حيوانات الفقمة بعيداً عن ديارها سنوات طويلة جداً. تخرج مرة في العام

فقط إلى شاطئ بحر بعيد عن أعين البشر، حيث تتحول مجدداً إلى أمراء رائعين. لكنهم لم يلعبوا طويلاً على الشاطئ، فعند غروب اليوم الثاني، كان على الأمراء والأميرات أن يرتدوا جلودهم مجدداً ويغطسون عائدين إلى البحر.

يقولون أن حيوانات الفقمة أتت لأول مرة إلى الجزيرة الغربية كرسل سرية لملوك النرويج. لا أحد يعرف إن كانت هذه حقيقة أم لا، لكن المؤكد شيء واحد فقط، وهو أنها أحبت هذا الشاطئ الغربي المغطى بالضباب. ويمكن مشاهدتها حتى هذا اليوم عند جزيرة لويس أو عند جزيرة رونيه، التي أُطلق عليها اسم جزيرة الفقمة، أو في مضيق هاريس. وصلت أسطورة أمراء البحر حتى جزر الغيبريد، حيث يعلم الجميع باحتمال رؤية الأمراء مصادفة مرة في العام، يلعبون على شاطئ البحر من المغيب إلى المغيب.

والآن اسمعوا ما الذي حدث لاحقاً. كان هناك صياد اسمه روديريك ماك- كودرام، من عشيرة دونالد، يعيش وحيداً على جزيرة بيرنيري التابعة لأرخبيل الغيبريد. ذات يوم وهو يمشي على امتداد الشاطئ حيث يستلقي قاربه، سمع غناءً آتياً من خلف الصخور. تسلل بهدوء إلى تلك البقعة ونظر خلف الصخور فشاهد الأمراء يلعبون على الشاطئ بانتظار المغيب. يلعبون وشعورهم تطير مع الريح بينما عيونهم تشع من السعادة. كان يعرف أن الفقمة تخاف من البشر فلم يزعجهم. لكنه حين همّ بالمغادرة شاهد جلوداً ناعمة رمادية وسوداء وذهبية تستلقي على حجر حيث تركها الأمراء. رفع جلداً ذهبياً أكثر لمعاناً من الجلود الأخرى وفكر: «يا لها من لُقية رائعة، سآخذها إلى بيتي عند شاطئ البحر». وكما فكر فعل. أخذ الجلد معه وفي البيت خبأه في السقيفة فوق الباب.

بعد مغيب الشمس، حين جلس روديريك عند النار يصلح شباكه، سمع تنهداً خلف النافذة. أطل من الباب فشاهد امرأة لم يسبق له أن شاهد أجمل منها في حياته. رشيقة، ذات عينين عسليتين حنونتين، تقف عند بيته يغطي شعرها الذهبي الذي يسقط إلى الأسفل كموجة كثيفة جسدها الأبيض كالثلج.

- ساعدني أيها الصياد!- قالت المرأة.- أنا أميرة بحر مسكينة أضاعت فروتها، ولن أستطيع العودة إلى إخوتي وأخواتي إلى أن أجدها.

دعاها روديريك إلى بيته وأعطاها غطاءاً كي تستر عريها وأدرك على الفور أن هذه

الجميلة أميرة البحر التي أخذ فروتها الذهبية صباحاً من الشاطئ. وما كان عليه إلا أن يرفع يده ويخرج من السقيفة الفروة التي خبأها فتعود الأميرة إلى إخوتها وأخواتها في البحر. لكن روديريك كان يراقبها وهي تجلس عند موقده، ويفكر كم ستكون الحياة لطيفة إن استطاع استبقاء هذه الجميلة. ستصبح زوجته، تؤنس وحدته وتدفئ قلبه.

فقال:

- إن وافقت على أن تصبحي زوجتي سأحترمك وأحبك طوال عمري.

نظرت الأميرة إلى الصياد بعينين عسليتين حزينتين.

- لقد فقدت فروتي الناعمة وليس لدي خيار. يبدو أنني سأضطر للبقاء في منزلك وأصبح زوجتك، فقد كنت طيباً جداً معي.

وتنهدت ناظرة نحو البحر الذي لم تعد تأمل في العودة إليه أبداً.

- كم أرغب بالعودة مجدداً إلى إخوتي وأخواتي في البحر! سينتظرونني وينادون عليّ دون جدوى.

كاد قلب الصياد يتمزق من الشفقة، لكنه كان مبهوراً بجمال ورقة الأميرة لدرجة أنه لم يكن مستعداً ليقبل بإطلاق سراحها مقابل أي شيء في الحياة.

عاش روديريك ماك- كودرام وزوجته الجميلة سنوات طويلة في البيت على الشاطئ، ورزقا بأطفال كثر، جميعهم ذوي أصوات بديعة وشعر ذهبي. أطلق الناس الذين سكنوا قريباً من هذه الجزيرة الوحيدة اسم «الفقمة ماك- كودرام» على روديريك لأنه اتخذ لنفسه زوجة من نسل الفقمة، أما أولاده فسموهم أولاد الفقمة ماك- كودرام.

لم تنس ابنة ملك البحر حزنها لحظة. تمشي وحيدة على الشاطئ، تسمع غناء البحر وضحك الأمواج. تلمح أحياناً إخوتها وأخواتها يسبحون قرب الشاطئ، وتسمع نداءهم لأختهم الضائعة، فتنجرف من كل قلبها شوقاً إليهم.

في إحدى المرات ودع روديريك زوجته وأطفاله وانطلق كعادته لصيد السمك. وبينما كان متجهاً إلى قاربه مر أمامَهُ أرنبٌ، وهذا ليس بالفأل الجيد كما يعرف الجميع. تردد روديريك، أعليه العودة بعد هذه الإشارة السيئة؟ نظر إلى السماء وقال لنفسه: « ستهب الريح اليوم، وهذا كل شيء. وهذا ليس بجديد علي.»

وأبحر. وسرعان ما هبت ريح قوية. كانت تصفر فوق البحر وتعول فوق البيت حيث بقيت زوجة وأطفال الصياد. نادت الأم ابنها الأصغر الذي كان يجمع الأصداف على الشاطئ في هذا الوقت. وحين دخل إلى البيت هبت نفحة ريح قوية صفقت الباب بقوة حتى اهتز السقف، وسقطت فروة الفقمة التي خبأها روديريك في السقيفة إلى الأرض.

لم تُدِن الأميرة ذاك الذي استبقاها في بيته رغم إرادتها كل هذه السنوات الطويلة جداً. قالت لأولادها كلمة واحدة فقط: «وداعاً!». وأسرعت إلى البحر حيث تلعب أفراس البحر في الأمواج. وهناك على الشاطئ، خلعت ملابسها وارتدت الفروة الذهبية وسبحت.

التفتت مرة واحدة فقط، ألقت نظرتها الأخيرة إلى البيت الذي عاشت فيه رغماً عنها

لكنها أحست فيه أيضاً ببعض السعادة. رأت أطفالها الواقفين على الشاطئ كالأيتام، لكن نداء البحر كان أقوى. ابتعدت الأميرة أكثر وأكثر وغنت من الفرح والسعادة.

عاد روديريك من الصيد إلى البيت فشاهد الباب مفتوحاً والبيت فارغاً. وحين اكتشف اختفاء فروة الفقمة، أدرك أن زوجته الجميلة عادت إلى البحر. صعب عليه سماع قصة أطفاله الذين أخبروه والدموع في عيونهم أن أمهم قالت لهم كلمة واحدة فقط: «وداعاً»، وتركتهم وحيدين على الشاطئ.

- منحوس اليوم الذي يعبر فيه الأرنب الطريق من أمامك،- حزن روديريك.- وها هي المصيبة قد وقعت على رأسي..

لم ينس زوجته الجميلة حتى آخر عمره. أما أولاد روديريك، وأولادهم من بعدهم فلم يؤذوا الفقمة يوماً لأن أمهم تنحدر من نسلها. أطلق عليهم الجميع اسم أولاد الفقمة ماك- كادرام، واشتهرت عشيرتهم في ويست الشمالية وأرخبيل الغيبريد كفرع من عشيرة دونالد.

قوقعة الوفرة

حكاية ألمانية

لم تكن الأسماك كثيرة في بحر الشمال كما هي الآن. مرت أوقات لا يمكن فيها اصطياد سمكة واحدة، لأن الحيوانات والأسماك والناس عاشوا بطريقة مختلفة في ذاك الزمان. حينها كانت أسماك بحر معين تعيش فيه فقط، أما الحيوانات فلا تبتعد عن أطراف غابتها. لذلك ظل الصيادون يصطادون إلى أن اصطادوا أخيراً السمك كله من البحر الشمالي، ولم يبق أثر لأي سمكة. بدأ الناس يفكرون ويخمّنون كيف يتصرفون الآن، لأن سكان الشاطئ لا يأكلون شيئاً سوى السمك.

لحسن الحظ كان هناك صياد شاب وقوي اسمه «هانس»، عيناه زرقاوان، عميقتان كبحر صاف وهادئ، أما شعره فذهبي كلون القش الذي غطيت به

أسطح المنازل في ذلك الوقت. لكن أكثر ما كان يميز هانس الذي لا يستطيع النظر بلا مبالاة إلى معاناة الكبار وجوع الصغار قلبه الشهم الطيب الممتلئ بحب شعبه. في أحد الأيام ذهب الشاب إلى أكبر الصيادين سناً وأكثرهم حكمة على الشاطئ كله، فقد عاش طويلاً وأبحر في محيطات كثيرة أيضاً، لذلك كان واسع المعرفة. كان الصياد يتدفأ في الشمس عند عتبة كوخه حين وصل هانس إليه.

- أخبرني يا جدي ماذا علينا أن نفعل كي يعود السمك إلى بحرنا مجدداً؟- سأل هانس بعد أن حيّا العجوز.

- ليس بالشيء الكثير يا بني. ملكة البحار وحدها تستطيع المساعدة، لأنها صاحبة السلطة الوحيدة على جميع سكان البحر، ويمكنها أن تعطينا السمك بوفرة.

- وكيف أصل إليها؟

- إنه أمر صعب جداً. وكي تجدها عليك التحلي بالشجاعة وأن لا تعرف معنى الخوف. يجب أن تصل إلى عرض البحر عبر العواصف والأعاصير وتناديها. لكن إن ارتعشتَ من الخوف فلن تستجيب الملكة لندائك، وقد تُهلكك أيضاً. لذلك فكر جيداً قبل أن تنطلق في رحلتك.

- ليس لدي شيء لأفقده!

قال هانس بحزم، ثم شكر العجوز على نصيحته وركض متلهفاً عبر الكثبان الرملية إلى حرش القصب حيث يستلقي قاربه المهمل منذ زمن.

دفع الشاب القارب إلى الماء، وبدأ يجدف طويلاً دون استراحة. ارتفعت أمامه الأمواج، كانت تعلو وتعلو، تلعب بالزورق وكأنه قشة، تارة ترفعه على

قمم الأمواج المزبدة، وتارة ترميه إلى أعماق اللجة وكأنها تريد أن تسحبه إلى القاع. ارتفعت الجدران المائية حتى خيّل للشاب أنه يقع كل مرة في بئر دون قاع، وفوق رأسه سطعت قطعة صغيرة من السماء الزرقاء. لكن قلب الصياد الشاب لم يرتعش مرة. جدف بقوة أكبر دون خوف، لم يكن يفكر إلا بالوصول سريعاً إلى ملكة البحار، لم يشعر بالتعب أو الجوع والعطش، لا بالحر أو البرد. وهكذا جدف النهار والليل بطوله. تقلصت الأمواج تدريجياً وهدأت، واختفت تماماً في الصباح. أصبح الماء هادئاً كماء البحيرة، وأدرك هانس أنه وصل إلى عرض البحر: فالأمواج المضطربة تبدأ دائماً من عرض البحر وتزداد ارتفاعاً عند الشاطئ، أما هنا فيسود هدوء سرمدي.

رفع هانس المجدافين، مدّ جسده عبر حافة القارب وصرخ بصوت عال:

- اظهري يا ملكة البحر، الصياد هانس يناديك!

تحرك قليلاً السطح الأخضر الساكن، اهتز وظهرت من الماء حسناء فاتنة ذات تاج ذهبي.

- إنك شاب جسور يا هانس، وأنا مستعدة أن أنفذ لك كل ما تتمناه.- قالت.

- لدي أمنية واحدة فقط،- قال الصياد الشاب بعد أن انحنى للتحية.- أرسلي السمك إلى بحرنا. لم تبق فيه سمكة واحدة، ولم يعد لسكان الشاطئ ما يفعلونه، والأطفال جياع..

- أهذه أمنيتك؟

- أجل.

- تحقيقها سهل جداً. انتظر.

اختفت الملكة في البحر. وبعد قليل ظهرت عند القارب. لمعت في يديها قوقعة بيضاء كبيرة. أعطتها الملكة لهانس قائلة:

- إنها قوقعة الوفرة، تتجه إليها أسراب السمك الخاصة بي. يكفي أن تضعها في الشبكة وستصطاد كل سمك البحر. إنما يمكنك فعل ذلك ثلاث مرات فقط، لأنه غير مسموح للقوقعة أن تخرج من الماء إلى الهواء إلا ثلاث مرات فقط. وفي المرة الرابعة ستتناثر إلى ألف قطعة وتفقد خاصتها السحرية. تذكر أنها خرجت من الماء اليوم لأول مرة.

- أشكرك من أعماق قلبي!- هتف هانس.- لن أنسى تعليماتك..

- رحلة طيبة وصيداً موفقاً!- لوحت ملكة البحر بيدها واختفت بين الأمواج.

فحص الصياد الشاب القوقعة البيضاء ثم وضعها بحرص في قاع القارب وأمسك بالمجدافين. جدف نحو شواطئ بلاده بينما أسرعت أسراب السمك نحو القارب من كل مكان وكأنها مسحورة، وسبحت خلفه دون أن تبتعد عنه.

« حسناً،- فكر هانس.- أستطيع أن أصيد سمك البحر كله مرة واحدة بالطبع، أبيعه ثم أصبح أغنى رجل في العالم. لكن يمكنني فعل ذلك مرتين فقط، وفي الثالثة ستتناثر القوقعة، ويعود البحر خالياً من السمك مجدداً فيحل الجوع على الشاطئ. كيف أتصرف؟»

في الواقع لم يفكر طويلاً. وكلما اقترب من شاطئ بلاده، علا الصوت الصادر من قلبه وأصبح أكثر إصراراً:

« يجب أن لا تغادر قوقعة الوفرة الماء بعد الآن وإلا تناثرت واختفى السمك إلى الأبد. يجب أن تبقى القوقعة دائماً في بحرنا لتجذب السمك!».

وفي المكان الذي يخرج الصيادون المحليون إليه لصيد السمك في العادة، ترك هانس المجدافين، رفع القوقعة البيضاء الكبيرة ووقف. نظر إلى القوقعة طويلاً وكأنه يريد تذكر شكلها مدى العمر، ثم انحنى عن القارب وأنزلها إلى البحر. غرقت القوقعة سريعاً واختفت في ظلمة الأعماق الخضراء، ولحقتها أسراب السمك.

بعد أن ارتاح قليلاً، عاود هانس التجديف ليخبر إخوانه أن وقت الصيد قد حان..

ومنذ ذلك الوقت والسمك موجود دائماً في بحر الشمال.

ملكة البلطيق

أسطورة بولونية

في قديم الزمان، انتصب قصر الملكة يوراتا في أعماق بحر البلطيق. كانت جدران القصر من الكهرمان النقي، عتباته من الذهب، سقفه من حراشف الأسماك أما نوافذه فمن الألماس. في إحدى المرات أرسلت الملكة أسماك الكراكي رسلاً إلى جميع الآلهة تدعوهن للحضور إلى القصر لتستشيرهن في أمر. حان اليوم الموعود واجتمعت الآلهات المدعوات في قاعة العرش. حضرت الملكة برفقة حاشيتها، وبعد أن حيّت ضيوفها باحترام جلست على عرشها الكهرماني وقالت:

- صديقاتي العزيزات! كلكن تعرفن جيداً أن والدي الحاكم برامجيماس،

سيد السماء والأرض والبحار منحني هذه الأمواه وجميع سكانها تحت حمايتي. وأنتن أنفسكن شاهدات على حكمي الحكيم والسعيد. حتى أصغر دودة وأصغر سمكة لا تشكوان من شيء، يعيش الكل في سلام ووفاق، ولا يجرؤ كائن أن يعتدي على حياة كائن آخر. لكن منذ فترة قريبة على حدود أملاكي، حيث يصب نهر شفينتا في مياه مملكتي، سكن صياد عديم الوجدان اسمه كاستيتيس. هذا الإنسان العديم القلب يخلّ براحة شعبي البريء، يصطاده في شباكه ويحكم عليه بالموت، بينما أنا، حاكمة البلطيق كله، لا أسمح لنفسي بتناول السمك، حتى سمكة موسى المفلطحة التي أحبها كثيراً آكل نصفها فقط، أما النصف الآخر فأطلقه ليعود إلى البحر. يجب أن تُعاقب وقاحة كاستيتيس. الزوارق جاهزة بانتظارنا وسنبحر الآن نحو الشاطئ. ففي هذا الوقت بالذات يرمي الصياد شباكه. دعونا نستدرجه إلى قاع البحر بالغناء والرقص ونرش الرمل في عينيه.

بعد أن أنهت خطابها، أعطت ملكة البلطيق إشارة، فانطلق مئة زورق من الكهرمان إلى مصب نهر شفينتا.

كانت الشمس ساطعة والبحر هادئ، وينشر الصدى كلمات الأغاني التي تغنّيها الآلهات في مراكبهن فوق سطح الماء:

- مصيبة، مصيبة ستحل بالصياد!

عندما توقفت المراكب عند مصب النهر، شاهدت الآلهات الصياد. كان يفرد الشباك على الشاطئ مشغولاً بعمله لدرجة أنه لم يلاحظ شيئاً في البداية. لكن عندما لمست الأغنية الرائعة أذنيه، رفع عينيه وشاهد مئة مركب من الكهرمان أمامه، وفي مركب المقدمة جلست الملكة ذات التاج، تحمل صولجاناً من الكهرمان. وكلما اقتربت المراكب ازدادت الأغنية إغراء:

- إنك صياد صالح وشاب
اصعد معنا في مراكبنا،

ستأخذنا الأمواج البيضاء
إلى بلد رائع حيث النهار جميل جداً كالذهب.
أنت شبيه بالآلهة
ستودع مصائب الأرض
لتصبح خالداً تحكم البحر معنا.

استمع الصياد كالمسحور، وكان على وشك الاندفاع إلى المراكب المقتربة وإذ بالملكة تعطي إشارة ليصمت الجميع، ثم تكلمت إلى الشاب المذهول:

- إياك أن تخطو خطوة أيها الإنسان المتهور! جريمتك كبيرة بحق وتستحق العقاب، لكنني سأسامحك بشرط أن تحبني.

ودون تفكير أقسم لها الشاب بالحب الأبدي.

عندها قالت الملكة:

- والآن لا تقترب منا وإلا هلكت. وتذكر سأنتظرك كل مساء على هذه الصخرة التي ستسمى منذ الآن بصخرة كاستيتيس.

وفي نفس اللحظة اختفت الملكة مع جميع أفراد حاشيتها.

ومنذ ذلك اليوم كانت الملكة يوراتا تخرج كل مساء إلى الشاطئ وتقابل حبيبها على الصخرة. لكن إله الصاعقة والرعد بيرون، حين علم أن الإلهة أحبت إنساناً فانياً غضب كثيراً، وذات يوم حين عادت الملكة إلى قصرها صرعها بصاعقة. تناثر قصر الكهرمان إلى قطع صغيرة. ثم قيد برامجيماس الصياد تحت الصخرة ليبكي محبوبته أبد الدهر. لهذا السبب- وحتى هذا اليوم- حين تحرك الريح أمواج البحر يُسمع أنين بعيد، إنه أنين الصياد، ويقذف الماء إلى الشاطئ قطعاً من الكهرمان هي كل ما تبقّى من قصر ملكة البلطيق.

غريم وروح الماء

حكاية من آيسلندا

غريم هو ذات الشخص الذي منح اسمه لجزيرة غريمسي الواقعة شمال آيسلندا. انطلق غريم في أحد الأيام لصيد السمك مع خدمه وابنه الصغير توريرو. شعر الصبي بالبرد، فوضعوه حتى كتفيه في كيس مصنوع من جلد الفقمة. فجأة علق بالصنارة روح الماء. وجهه وجه إنسان أما جسده فجسد فقمة.

- أخبرنا بالمستقبل وإلا لن ترى بيتك بعد الآن أبداً.- قال غريم.

- فكّوني عن الصنارة أولاً.- طلب روح الماء، وحين نفذ الناس طلبه غاص ثم عام مبتعداً قليلاً عن القارب.

- نبوءتي لا معنى لها بالنسبة لك ولخدمك!- صرخ الروح.- اقترب أجَلُك يا

غريم، وسنلتقي مجدداً قبل حلول الربيع. لكن مستقبلاً مختلفاً ينتظر الصبي في الكيس المصنوع من جلد الفقمة. دعه يغادر غريمسي ويسكن حيث ستستلقي فرسك «سكالم» تحت حملها.

مع حلول الشتاء، انطلق غريم مع خدمه مجدداً لصيد السمك لكن من دون الصبي هذه المرة. فجأة هاج البحر رغم عدم وجود الريح، وغرقوا جميعاً كما تنبأ روح الماء.

أخذت الأم توريرو وانطلقت به جنوباً. وطوال الصيف سارت الفرس سكالم تحت حملها ولم تستلق مرة واحدة. وحين أصبحا بمحاذاة كثيبين أحمرين شمال بورغار فيوردا، استلقت الفرس فجأة. فسكنت عائلة غريم على الأرض الواقعة قرب النهر البارد، بين الهضبة والبحر.

مرت سنوات عدة. شاخ توريرو وأصبح أعمى. وفي إحدى الأمسيات الصيفية خرج إلى عتبة بيته وأبصر فجأة. وعندما أبصر، شاهد أمامه مسخاً طويلاً في قارب يطفو على سطح النهر البارد، وحين اقترب بقاربه من الهضبة اختفى في الشق. في ذات الليلة خرجت النار من تحت الأرض، وغطت الحمم الجوار ومازالت تغطيها حتى الآن. مات توريرو تلك الليلة بسبب انفجار البركان الذي يحمل اسمه. يقولون أن غريم يخرج من البحر ويزور ابنه، وإن وضعت أذنك على الأرض في الطقس الهادئ يمكنك أن تسمعهما يتكلمان، وتسمع شخير الفرس سكالم التي تشرب الماء من جرن حجري خلف ظهريهما.

حاكمة البحر

حكاية سويدية

أعلن ملكٌ الحرب على ملك آخر، جهّز الأسطول وأبحر كي يقاتل الأعداء.

وبعد أن انتصر أقفل عائداً، لكنه صادف عاصفة في طريقه. خشي الملك أن تغرق جميع سفنه فصاح:

– أقسم بتاجي، ما إن نطأ الشاطئ سأمنح حاكمة البحر أول شخص أصادفه رجلاً كان أم امرأة!

هدأت العاصفة على الفور.

وحين اقترب الأسطول الملكي من العاصمة، بدأت المدافع تطلق نيرانها من السفن تحية.

في هذه الأثناء كان ابن الملك الوحيد البالغ من العمر ثلاث سنوات يتنزه على الشاطئ بانتظار أبيه. وما إن نزل الملك إلى الميناء حتى اندفع الصبي إلى أحضانه. تذكر الملك برعب القسم الذي أقسمه لحاكمة البحر، لكنه حاول تهدئة نفسه على الفور: «وعدتها أن أعطيها رجلاً أو امرأة، أما ابني فما يزال طفلاً!»

ومنذ ذلك اليوم، كلما أبحر أحد رعايا الملك في البحر لم يعد منه. شعر الشعب بالقلق وتقوّل الناس: « لقد غضبت حاكمة البحر لأن الملك لم يف بقسمه!».

لم يعد الملك والملكة يسمحان لابنهما بالذهاب إلى الشاطئ. حلم الصبي بركوب سفينة، لكنهما منعاه حتى من التفكير بذلك.

حين بلغ عمر الأمير عشر سنوات، أنجبت أمه ابناً آخر وانشغل الملك والملكة بالمولود الجديد فما عادا يراقبان كالسابق ابنهما البكر. في أحد الأيام كان الأمير يتمشى برفقة الحاشية في البستان الملكي عند البحر، واقترب الجميع من الشاطئ دون أن ينتبهوا. فجأة ظهرت سحابة سوداء، غطت الأمير، حملته واختفت على الفور. شعر أفراد الحاشية بالخوف وأخبروا الملك والملكة بما حدث، فانهمرت دموعهما وبكيا طويلاً ابنهما البكر.

كبر الابن الأصغر، وعندما بلغ السادسة عشرة قرر والداه تزويجه بابنة حاكم قوي يستطيع تقديم المساعدة للمملكة في حال نشوب الحرب. أُرسل الرسل إلى الممالك المجاورة، وما إنْ انطلقوا حتى هبت ريح قوية من البحر حاملة معها صوتاً عالياً يكرر من دون انقطاع:

- من قُدِّر له أن يولد أولاً، يجب أن يتزوج أولاً!

لم يجرؤ أحد على الاقتراب من الشاطئ، ومن تجرأ حملته الأمواج وأخذته بعيداً.

حين علم الملك بذلك جمع مستشاريه فأشاروا عليه باستدعاء العجوز الحكيمة المشهورة بذكائها في العالم كله.

أتت العجوز إلى الملك وقالت:

- أظنني أعرف لم أرسلت في طلبي يا صاحب الجلالة. إنه ابنك البكر يناديك من لجة البحر. وعليك أن تعثر للأمير الشاب على فتاة جميلة توافق على الزواج به كي يهدأ البحر.

أعلن الملك للشعب أنه لن يبخل بشيء على الفتاة الجميلة الشابة التي ستوافق على الزواج بابنه البكر.

حضرت فتاة من عائلة فقيرة إلى القصر، ولم يكن في المملكة بأسرها فتاة أكثر طيبة وجمالاً منها. عندها قالت العجوز للملك:

- يجب أن تأمر ببناء بيت عند البحر وتأخذ الفتاة إليه. ربما أعجب بها الأمير وقرر أن يتزوجها.

طلبت العجوز الحكيمة من الفتاة أن تقسم بأنها لن تنظر أبداً إلى الشاب الذي سيأتي في منتصف الليل. وما إن جهز البيت عند البحر، حتى أُخذت الفتاة إليه وتركت وحدها.

وفي منتصف الليل تماماً أتى الأمير مبللاً من رأسه حتى أخمص قدميه، نفض الماء عن ملابسه، وضع تفاحة على الطاولة، اقترب من الفتاة ونظر إليها، ثم خرج إلى الغرفة المجاورة واستلقى لينام.

كادت الفتاة المسكينة تموت من الخوف، لكن بعد أن تمالكت نفسها، راودتها رغبة لا تقاوم بإلقاء نظرة على الأمير النائم. لكنها تذكرت قسمها وبقيت مستلقية دون حراك، ثم غفت واستيقظت عند الفجر بعد أن غادر الأمير.

انحنى الأمير قبل مغادرته فوق الفتاة ونظر إليها مطولاً، ثم أخذ التفاحة عن الطاولة وخرج مغلقاً الباب خلفه.

صباحاً أتوا لزيارة الفتاة فوجدوها بخير.

في أثناء ذلك وصلت عروس الابن الأصغر الذي قرر الملك أن يتخلى له عن العرش.

قضت الفتاة الليالي في البيت عند البحر. يأتي الأمير في منتصف الليل، ينفض الماء عن نفسه، يتفحص الفتاة طويلاً بعد أن يضع التفاحة على الطاولة ثم يغادر عند الفجر. أما هي فلم تنظر إليه نظرة واحدة.

في إحدى المرات، قال الأمير للفتاة قبل أن يغادر البيت:

- خذي هذه التفاحة وارمها على الأرض ثم اتبعيها، ستتدحرج وتقودك إلى بستان فيه شجرة تفاح. اجمعي ثمارها وعودي على الفور، وإياك أن تتلكئي.

بعد ذهاب الأمير، أخذت الفتاة التفاحة عن الطاولة ووضعتها على الأرض ثم ركضت خلفها وهي تتدحرج بسرعة إلى أن توقفت عند بوابة ذهبية خلفها بستان كبير. فُتِحت البوابة من تلقاء نفسها، أكملت التفاحة تدحرجها وقادت الفتاة إلى شجرة تفاح تحمل ثماراً كثيرة. قطفت الفتاة ملء مئزرها تفاحاً، وحين همت بالمغادرة تلكأت لأن البستان أعجبها كثيراً. وفي اللحظة نفسها أُغلقت البوابة الذهبية.

شعرت الفتاة بالخوف. وتذكرت الآن فقط أن الأمير أمرها ألا تتلكأ قرب الشجرة. وهنا تدحرجت التفاحة إلى عمق البستان، وتوقفت عند موقد كبير فوقه قدران مملوءان حتى حافتيهما بالماء. أحد القدرين كبير والآخر صغير. تتقد نار قوية تحت الكبير، ونار ضعيفة تحت الصغير.

نقلت الفتاة بعض الحطب من تحت القدر الكبير إلى ما تحت الصغير فغلى فيه الماء على الفور وبقبق، بينما توقف عن الغليان في الكبير.

أما التفاحة فأكملت تدحرجها. فتبعتها الفتاة حتى وصلت إلى مرج صغير ينام عليه صبي وبنت. كانت الشمس تحرق الطفلين بأشعتها فغطتهما الفتاة بمئزرها لتحميهما من الشمس. لم تأخذ من الثمار التي جمعتها سوى تفاحتين، أما البقية فتركتها على المرج، وأسرعت لتلحق بالتفاحة التي سرعان ما قادتها إلى شاطئ البحر حيث شاهدت امرأة رشيقة جميلة جالسة تحت ظل شجرة كبيرة، كانت تلك حاكمة البحر.

- من سمح لك بالتنزه في حديقتي؟- سألت الحاكمة الفتاة بغضب.

- لا أحد، لكنني لم أكن أريد التسبب بأي أذى.

- تعالي معي.- قالت حاكمة البحر، رفعت التفاحة عن الأرض وقادت الفتاة في طريق العودة.

وصلتا إلى المرج حيث ينام الطفلان تحت المئزر.

- أنت من غطاهما بالمئزر؟- سألت حاكمة البحر.

- أجل،- أجابت الفتاة من بين الدموع.- لكنني لم أفكر بإيذائهما، أردت فقط حمايتهما من أشعة الشمس الحارة.

قالت حاكمة البحر:

- أرى أن قلبك طيب. لكن يجب أن أتأكد أولاً من كل ما فعلته هنا، وسنسوّي حسابنا لاحقاً.

اقتربتا من الموقد فرأت حاكمة البحر أن المياه تغلي في القدر الصغير، بينما بردت تقريباً في الكبير:

- كيف تجرأت على نقل النار من تحت القدر الكبير إلى ما تحت القدر الصغير؟

- لم أدرك أنني ارتكبت سوءاً بذلك الفعل.- أجابت الفتاة.

- فلتعلمي إذن أن القدر الكبير هو حب الأمير لي، أما الصغير فحبه لك. ترين بنفسك أنه يحبك الآن أكثر مني. حسناً اذهبي إلى القصر وأخبريهم أنك موافقة على الزواج بالأمير وليقم الملك عرسين في ذات الوقت، عرسك وعرس ابنه الأصغر. أخبريه أيضاً أن حاكمة البحر قد أمرت بأن يرث الابن الأكبر عرش أبيه، أما الأصغر فليحكم في مملكة زوجته. إن حقق الملك ما طلبت سأطلق سراح ابنه. أما أنت فسأهديك فستان العرس.

لمست ملكة البحر الموقد بصولجانها فظهر منه فجأة صندوق فيه ملابس زفاف مطرزة بأحجار كريمة.

غيرت الفتاة ملابسها ووضعت لها حاكمة البحر تاجاً على رأسها. كان التاج يلمع كالشمس مزيناً بالزمرد الثمين.

- لكن تذكري أن عليك أن تحبي الأمير وأن تعيشي من أجل سعادته!- قالت حاكمة البحر.

- سأفعل كل شيء كي يكون الأمير سعيداً.

- عندها ستسعدين أنت أيضاً.- قالت حاكمة البحر.- وداعاً الآن. ستقودك التفاحة إلى وجهتك.

رمت التفاحة على الأرض وسارت الفتاة خلفها. فُتحت البوابة الذهبية وسرعان ما أصبحت الفتاة قرب القصر.

ذهل الجميع بفستان عرسها وتاجها الساطع كالشمس. ما كانت ثروات المملكة كلها تكفي لاقتناء تاج مثل هذا. نقلت الفتاة للملك رغبة حاكمة البحر فوعد فرِحاً بتنفيذ كل شيء.

تم الاستعداد للعرسين. وحين أصبح كل شيء جاهزاً واجتمع الضيوف، ظهر فجأة شاب جميل. عانق الأمير والديه وأخيه فرحاً وسعيداً، وقبّل عروسه المطيعة التي تجرأت لأول مرة على النظر إليه.

احتفلوا بالعرس، وعاش العروسان بهناء وسعادة.

المملكة البيضاء

حكاية نرويجية

كان هناك صياد يعمل في صيد السمك للبلاط الملكي. ذات يوم لم تعلق سمكة واحدة بصنارته طوال النهار. وعند حلول المساء، حين قرر العودة إلى بيته، سمع فجأة صوتاً يخرج من الماء:

- لا تسرع! إن وعدت بأن تعطيني ما ستفرحك به زوجتك اليوم، فستصطاد سمكاً قدر ما تشاء.

- حسناً، موافق.- أجاب الصياد.

وبالفعل اصطاد الصياد خلال فترة قصيرة كمية كبيرة من السمك استطاع بالكاد إيصالها إلى القصر. وحين عاد إلى البيت أخبرته زوجته أنهما سيرزقان بطفل.

أدرك الصياد متأخراً أنه قد خُدِع، فذهب إلى القصر في اليوم التالي وأخبر الملك بمصيبته. فكر الملك وفكر ثم أجاب:

- لا تخف أيها الصياد. أحضر الطفل إلى القصر عندما يولد، ولن أسمح لشعرة واحدة أن تسقط من رأسه.

فرح الصياد، عاد إلى البيت وطمأن زوجته، وحين ولد الطفل أخذه إلى القصر. أمر الملك أن يُعنى بابن الصياد وكأنه ابن له، وهكذا كبر في القصر. ذات مرة طلب الشاب من الملك:

- اسمح لي بمرافقة أبي لصيد السمك.

- لا.- أجاب الملك.- لا يسمح لك بالاقتراب من البحر كيلا تصاب بمكروه.

- ولكن سيكون أبي معي! وسيحميني أفضلَ من أفضلِ الحراس.

لم يكن أمام الملك خيار إلا منح الإذن للشاب بمرافقة والده إلى البحر.

اصطادا السمك طوال اليوم. وفي المساء رفعا صنارتيهما وانطلقا إلى القصر. وفي الطريق تذكر الشاب أنه نسي قبعته في القارب فركض عائداً ليحضرها. وما إن قفز إلى القارب حتى أبحر من تلقاء نفسه وانطلق إلى عرض البحر.

أبحر القارب طوال الليل، وفي الصباح اصطدمت مقدمته بشاطئ أبيض. قفز الشاب من القارب وسار إلى أعماق البلد الأبيض، وفي طريقه صادف عجوزاً ذا لحية بيضاء فسأله:

- ما اسم هذا البلد أيها الجد؟

- اسمه المملكة البيضاء. وأنت كيف وصلت إلى هنا وما الذي تريده؟

فأخبره الشاب بمصيبته.

- سِر في هذا الطريق،- قال العجوز.- وسرعان ما ستصادف ثلاث فتيات مدفونات في الأرض حتى الرقبة. ستطلب منك الأولى أن تخرجها وكذلك الثانية، ولكن عليك التظاهر بأنك لا تسمع. اتجه مباشرة إلى الفتاة الثالثة ونفذ ما تطلبه منك. وهكذا ستجد سعادتك.

قال واختفى، أما الشاب فسار في الطريق الذي دلّه عليه العجوز.

حين مر الشاب قرب الفتاة الأولى صرخت له:

- أخرجني أيها الإنسان الطيب، ارحمني!

لكن الشاب مر بقربها دون أن يتوقف.

وحين حاذى الفتاة الثانية صرخت به أيضاً:

- أخرجني، تكرّم عليّ!

فلم يتوقف أيضاً. وحين شاهد الشاب الفتاة الثالثة اقترب منها بنفسه، فقالت له:

- إن فعلت ما سأطلبه منك تستطيع الزواج بواحدة منا.

- أنا مستعد للقيام بكل ما تأمرينني به أيتها الجميلة!- أجاب الشاب.

عندها قالت الفتاة:

- نحن بنات الملك، ويقع قصرنا على طرف هذه الغابة. استولت عليه الثعابين وسحرتنا، وها نحن مدفونات في الأرض لا نستطيع الخروج. لن ينقذنا إلا ذاك الذي سيتحمل كل العذابات في القصر، عندها سيفقد السحر قوته. اذهب إلى القصر أيها الشاب الطيب. ستشاهد أسدين عند المدخل، لا تخف منهما فلن يلحقا بك الأذى. ادخل إلى الغرفة المعتمة واستلق على السرير. وحين يأتي الثعبان ويبدأ بضربك عليك أن تتحمل، ثم خذ الزجاجة الموجودة عند رأس

السرير وادهن جروحك بمحتواها فتندمل على الفور. ثم خذ السيف المعلق على الجدار واقتل الثعبان.

تصرف الشاب كما أمرته الفتاة. مر بقرب الأسدين إلى القصر، واستلقى على السرير في الغرفة المعتمة. وفي الليل أتى ثعبان بثلاثة رؤوس وأخذ يضربه بثلاث هراوات. تحمل الشاب الألم. ثم أخذ الزجاجة خلسة ودهن جروحه فاندملت على الفور. عندها نهض الشاب على قدميه بسرعة، اختطف السيف عن الجدار وقتل الثعبان.

في الصباح ذهب الشاب إلى بنات الملك. هذه المرة كن مدفونات في الأرض حتى الخصر.

وفي الليلة التالية أتى ثعبان بستة رؤوس، وراح يضرب الشاب بست هراوات. لكن الشاب تحمل الأذى، دهن جراحه بمحتوى الزجاجة، أخذ السيف وقتل الثعبان ذا الرؤوس الستة.

وفي الصباح حين ذهب مجدداً إلى الفتيات، رأى أنهن مدفونات في الأرض حتى ركبهن فقط.

وفي الليلة الثالثة جاء ثعبان ذا تسع رؤوس، ومعه تسع هراوات. كان يضرب الشاب بقسوة شديدة حتى إنّه لم يعد يحتمل ففقد وعيه. حمله الثعبان ورماه على الأرض. وقعت الزجاجة فانسكب محتواها كله على جراح الشاب. اندملت الجراح على الفور واستعاد الشاب وعيه، أخذ السيف وقتل الثعبان.

وفي الصباح ذهب إلى حيث الفتيات ورأى أنهن تحررن تماماً.

تزوج الشاب صغرى الأخوات وصار ملكاً على المملكة البيضاء وعاش مع زوجته بسعادة.

بعد عدة سنوات، قرر الملك الشاب زيارة أهله. لم ترغب الملكة السماح له بالمغادرة لكنه أصر. عندها قالت:

- حسناً، سأدعك تغادر، لكن عدني إنك لن تستمع إلى كلام أمك بل إلى كلام أبيك.

وعد الملك الملكة بذلك فأعطته خاتماً وأضافت:

- تذكر أن هذا الخاتم سيحقق لك أمنيتين.

تمنى الملك الشاب أن يحمله الخاتم إلى والديه، وفي اللحظة ذاتها صار تحت سقف بيت أهله. لم يستطع الأب والأم الفرحين أن يشبعا نظريهما من ابنهما الجميل وملابسه الفاخرة.

بعد عدة أيام قالت الأم:

- ما رأيك أن تزور الملك ليرى كم أصبحت فتى قوياً؟

- لا حاجة به للذهاب إلى القصر.- اعترض الأب.

- لا، عليه أن يذهب.- أصرت الأم.- فالملك كان طيباً مع ابننا ورباه في قصره! يجب ألا ننكر الجميل.

ظلت تلح على ابنها طويلاً حتى وافق أخيراً وذهب إلى القصر. فرح الملك بالضيف الذي اعتبره ميتاً لسنوات، وأتت الملكة أيضاً.

- هل زوجتك شابة وجميلة مثل زوجتي؟- سأل الملك ربيبه.

- ليتها الآن هنا، لرأيتها بنفسك.- أجاب دون تفكير.

ولم يكد يلفظ هذه الكلمات حتى ظهرت زوجته الشابة قربه.

- لماذا لمْ تحافظ على وعدك؟ لماذا لم تسمع كلام أبيك؟ فقد خاتمك قوته السحرية الآن. يجب أن أعود إلى المملكة البيضاء التي يصعب على الإنسان الوصول إليها، ولا أعتقد أننا سنلتقي يوماً، - قالت بحزن.- خذ هذا الخاتم كتذكار مني. وداعاً. – واختفت في اللحظة ذاتها.

فقد الملك الشاب صوابه من اليأس. وأخيراً قرر الانطلاق في الرحلة والعثور على المملكة البيضاء مهما كلف الثمن. سار طويلاً حتى وصل إلى جبل مرتفع. وما إن بدأ بتسلق الجبل حتى صادف رجلاً.

- مرحباً أيها الرجل الطيب!- قال الملك الشاب.

- أهلاً! إلى أين أنت ذاهب؟

- أنا أبحث عن المملكة البيضاء. ألا تستطيع أن ترشدني إليها؟

- لا أعرف مكانها.- أجاب الرجل.- ولكنني سأستدعي الآن جميع حيوانات الغابة. ربما يعرف أحدهم مكان هذه المملكة البيضاء.

ونفخ في البوق فحضرت إليهما جميع حيوانات الغابة على الفور.

- هل يعرف أحدكم أين تقع المملكة البيضاء؟- سألهم الرجل.

ظلت الحيوانات صامتة. عندها أعطى سيد الحيوانات جزمة للملك وقال:

- ما إن تنتعل هذه الجزمة- السريعة، حتى تحملك في لحظة إلى أخي، بعيداً جداً عن هذا المكان. إنه سيد الطيور، ربما يعرف موقع المملكة البيضاء. حين تصل إليه ضع الجزمة بحيث تكون مقدمتها للوراء، فتعود إلي وحدها.

انتعل المسافر الجزمة- السريعة فوصل إلى سيد الطيور في اللحظة نفسها. خلع الجزمة، وضعها ومقدمتها إلى الوراء، فعادت إلى صاحبها وحدها.

سأل المسافر سيد الطيور إن كان يعرف أين تقع المملكة البيضاء.

- لا. لا أعرف. لكنني سأنادي الآن جميع الطيور، ربما يعرف مكانها طير ما.

نادى الطيور، لكن لم يسبق لأحدهم أن شاهد المملكة البيضاء. عندها أعطى سيد الطيور جزمة للمسافر وقال:

- انتعل هذه الجزمة- السريعة، وستقودك إلى أخي، سيد الأسماك. اسأله عن المملكة البيضاء. ولا تنس أن تعيد الجزمة لي.

شكر المسافر سيد الطيور، انتعل الجزمة- السريعة فوصل في اللحظة نفسها إلى سيد الأسماك. أول ما فعله خلع الجزمة، وبعد أن عادت إلى صاحبها سأل:

- ألا تعرف يا سيد الأسماك أين تقع المملكة البيضاء؟

- هذا ما لا أعرفه، دعني أسأل الأسماك.

استدعى كل الأسماك وسألها:

- ألا تعرف أي منكن مكان المملكة البيضاء؟

ولا واحدة منهن كانت تعرف المكان. وفي هذا الوقت وصلت سمكة عجوز متأخرة عن البقية، وقالت بعد أن عرفت سبب استدعائهن جميعاً:

- أنا أعرف. فقد أتيت من هناك الآن.

وشرحت أين تقع المملكة البيضاء. عندها قال سيد الأسماك للملك الشاب:

- سر في هذا الطريق، وحين تصل إلى تقاطع طرق ستشاهد ثلاثة أغبياء يتخاصمون على قبعة. هذه القبعة غير عادية، من يلبسها يصبح غير مرئيٍ

وتتحقق كل أمانيه. عليك أن تحصل على هذه القبعة إن أردت الوصول إلى المملكة البيضاء.

وصل الملك الشاب إلى تقاطع الطرق، فشاهد الأغبياء الثلاثة يتخاصمون على قبعة فقال لهم:

- ما لكم تتخاصمون أيها الناس الطيبون؟ أعطوني القبعة لأمسكها وأنتم تسابقوا فيما بينكم. ومن يسبق الآخرين سيحصل عليها.

وافق الأغبياء، أعطوا القبعة للمسافر واستعدّوا للركض حين يعطي إشارة لهم.

لكن المسافر لبس قبعة الإخفاء وتمنى أن تحمله إلى المملكة البيضاء. في اللحظة ذاتها وجد نفسه في قصره. لم تتعرف الملكة بداية على زوجها لأن التشرد والمصائب غيراه كثيراً. لكنه أراها الخاتم ففرحت كثيراً بعودة زوجها. وهكذا عاش الملك الشاب مع الملكة الجميلة بهناء وسعادة.

الصراع الدائم

الرسالة السادسة

أحب الصقيع أن يخافه ويستسلم له كل شيء حي. في النهار كان يتسلى كثيراً، يجري أسرع من أيائل الشمال، يكوّم جبالاً من الثلج وينشرها مجدداً في الصحراء الجليدية. أو يطرق الجليد، عندها يُسمع صوت مطارقه من بعيد. أو يرسم على السماء أضواء الشمال الساطعة بخطوط عريضة. يفعل خلال اليوم أشياء كثيرة، وفي الليل يشاهد الأحلام أو يفكر. كان لديه متسع من الوقت لذلك، لأن الليل يمتد ستة أشهر كاملة في القطب الشمالي. وفي ليلة مثل هذه، قرر الصقيع أن يستولي على العالم كله. لم يفكر مطولاً بل استعد وغادر قصره في القطب الشمالي وانطلق في رحلته. كان عليه أولاً قهر المحيط الذي يعترض طريقه إلى القارات. بدأ الصقيع يعمل بمطارقه ليصنع قيوداً جليدية لأمواه المحيط. وفي جميع الأنحاء سُمِع صوت قصف وتكسّر مخيف. وعندما حل الفجر، كان الصقيع قد قيّد المحيط قبل أن يصحو من المفاجأة، ووصل إلى حدود القارة.

استدرك المحيط الغافي فجأة ما جرى، لكن متأخراً. حاول كسر القيود الجليدية، حرك كتفيه، انتفض، تحرك دون فائدة فالجليد قيده بقوة. عندها أنّ المحيط الشمالي وتوسل:

- ساعدوني يا إخوتي، أنقذوني. لا تدعوني أموت.

كان لديه ثلاثة أخوة محيطات: الكبير، الهندي والأطلسي. الأخ الأكبر، أو المحيط الكبير أحب النوم كثيراً ولا عجب أن الناس قد أطلقوا عليه اسم المحيط الهادئ. كان الهادئ في تلك الأثناء يغط في نوم عميق كعادته ولم يسمع النداء. أيضاً لم يسمع شيئاً المحيط الهندي لأنه يعيش بعيداً جداً. ولكن المحيط الأطلسي استجاب على الفور.

- لا تخف يا أخي، لن أتركك في محنتك. سأضحي بحياتي ولكنني سأنقذك.

ومد يده الساخنة اليمنى واشتبك مع الصقيع. غطى الصقيع الغاضب الماء بقيود جديدة لكن المحيط الأطلسي حطمها بقبضته العملاقة فسبحت الشظايا - الجبال الجليدية- في اتجاهات مختلفة.

لم يستسلم أي من الخصمين. اشتبكا بالقوة وأكملا الصراع، ولا أحد يعلم كيف سينتهي هذا القتال لو لم تنكسر مطارق الصقيع أخيراً. عندها اندفع بكل سرعته إلى قصره ليحضر مطارق جديدة.

غير أن المحيط الأطلسي الذكي لم ينتظره، بل استمر في تحطيم الجليد. تحرر الشاطئ من الجليد، ذاب الثلج عن الأرض، نبت العشب وغردت الطيور. تنفس المحيط الصعداء حين أحس بالحرية. ولم يكد أخوه يتخلص من الجليد نهائياً

حتى وصل الصقيع، واندلع الصراع مجدداً. عاد الصقيع بقوى متجددة وبدأ بالتغلب على خصمه، لكن المحيط ظل يقاتل بشجاعة محرراً الأرض شبراً شبراً إلى أن انكسرت مطارق الصقيع مجدداً. وحين ذهب الصقيع لإحضار مطارق جديدة أسرع المحيط الأطلسي لتحرير أخيه. لكنه لم يستطع رغم عجلته، لأن الصقيع عاد مجدداً. وبدأ كل شيء من جديد..

وهكذا اندلع صراع أبدي لا يتوقف، يستمر حتى الآن من عام إلى عام.

يمد المحيط يده الحارة اليمنى المسماة «غولفستريم»، يدفئ شواطئ أوروبا الشمالية ويحاول مساعدة أخيه على التحرر من القيود الجليدية، ويسبح حطامها المكون من جبال جليدية كبيرة في كل الاتجاهات. ولكن الصقيع الذي يأتي مُجَدِداً قواه يقيد المحيط بالجليد. لذلك سمي المحيط الشمالي بالمتجمد.

حكايا أراضي البلطيق
والشمال السوفييتي

العقدة المُحرمة

حكاية إستونية

مر أحد الأعوام بشكل سَيِّئ على صيادي الأرض الكبيرة. فمنذ الخريف كان السمك قليلاً في الشباك، أما في الربيع ففرغت المخازن تماماً. والسمك بالنسبة للصيادين كالخبز للفلاحين. وإن فُقِدَ السمك، تجوع القرية بأكملها.

اجتمع الصيادون للتشاور. كيف يتصرفون وماذا عليهم أن يفعلوا؟ فهم لا يستطيعون الخروج إلى البحر لأن وقت الصيد لم يحن بعد، أما البقاء في البيوت فمأساة تامة.

فكر الصيادون وفكروا، وقرروا اختبار حظهم.

- قد يرأف بنا البحر ويرسل ولو شيئاً ما إلى شباكنا؟

فقال أحد الصيادين:

- لا أعرف إن كانت هذه خرافة أم حقيقة، لكن يقولون كان العجوز كاريلا صديقاً لسيدة البحر بجلالها ذات يوم. فلا بد من أنه يعرف كيفية استدراج السمك.

- أنا أيضاً أذكر شيئاً شبيهاً بهذا.- قال صياد آخر.- كنت ما أزال طفلاً حين أخبرني جدي أن لدى كاريلا شيئاً مسحوراً يستدرج السمك في أي موسم كان. ما رأيكم أن نذهب إلى العجوز ونطلب منه أن يعطينا هذا الشيء من أجل الحظ؟

يعيش كاريلا في أقصى أطراف القرية. كان في شبابه صياداً شجاعاً ومحظوظاً، لكن السنين أحنت ظهره، فلم يعد يخرج من كوخه إلا نادراً، فكيف بالخروج إلى البحر. حين طرق الصيادون بابه، خرج إليهم كاريلا وقال:

- أعرف يا أبنائي لم أتيتم إلي، وأود أن أخبركم أن الصياد الجيد لا يعتمد على الحظ، بل على مهارته وقوة يديه. لكنكم شرعتم بمسألة صعبة. تريدون الخروج إلى البحر قبل الأوان. والبحر لا يحب ذلك. حسناً، أبحروا بشجاعة وسأساعدكم.

وهنا نزع كاريلا العجوز وشاحاً عن رقبته وأراه للصيادين.

- أترون العقد الثلاث على هذا الوشاح؟ العقدة الأولى سترسل لكم الرياح المواتية. عليكم أن تحلّوها عندما ترفعون الأشرعة. العقدة الثانية ستجتذب السمك. عليكم أن تحلوها عندما ترمون الشباك. أما العقدة الثالثة فإياكم أن تحلّوها. وإن حللتموها فلن تتجنبوا وقوع كارثة. وسأطلب منكم أيضاً أن تكتفوا بما سيرسله البحر إليكم. مهما كانت كمية السمك في شباككم، إياكم أن ترموها في البحر مرة أخرى.

- لا تخف يا كاريلا،- أجاب الصياد.- سنفعل كما قلت لنا. الكلمة كلمتك.

- كلمة البحار وعد صادق.- قال العجوز وأعطى الوشاح للصيادين.

صمّغ الصيادون القارب طوال الليل وأصلحوا الشباك، وفي الصباح أصبح كل شيء جاهزاً. قفز الصيادون إلى القارب وأبحروا مبتعدين عن الشاطئ، وسرعان ما خرجوا من الخليج ورفعوا الشراع. وهنا أخرج كبيرهم وشاح العجوز كاريلا وقال:

- لنحل العقدة الأولى.

حلّوا العقدة فهبت الريح على الفور من مكان ما، نفخت الشراع ودفعت بالقارب إلى الأمام.

سار القارب بشكل جيد. يستدير من دون قيادة، ويشق الأمواج كالسكين. أبحر الصيادون بعيداً في عرض البحر. فجأة هدأت الريح، تهدل الشراع، ثم توقف القارب.

- لنرم شباكنا هنا.- قال الصيادون.

بدؤوا العمل معاً. رموا المرساة، فردوا الشباك ورموها في البحر.

- والآن حُلّ العقدة الثانية.- صاح الصيادون.

أخرج رئيسهم وشاح العجوز كاريلا من سترته وحلّ العقدة. وما إن حلها حتى تخبّط شيء في البحر، ظهرت دوائر على الماء، ارتجفت العوامات على الشباك.

انتظر الصيادون ريثما هدأ كل شيء حولهم، وأخرجوا الشباك بحرص. لم يسبق لها أن كانت ثقيلة هكذا. سحبها الصيادون بكل قوتهم، وأخيراً ارتفعت حوافها فوق الماء. كانت تعجّ بالسمك ذي الحراشف الفضية التي تلمع تحت الشمس لدرجة أن بريقها يؤذي العينين.

- واحد، اثنان!- أمر رئيسهم.

سحب الصيادون الشباك فتساقط السمك إلى داخل القارب.

- إنه صيد جيد!- قال أحد الصيادين.- الشكر للعجوز كاريلا.

- هذا صحيح!- أجاب صياد آخر.- ولكن كي يشبع الجميع لحين حلول موسم صيد السمك، نحتاج أن نملأ شباكنا ثلاث مرات بمثل هذا الصيد. ما رأيكم أن نرمي الشباك مرة أخرى؟

- ماذا تقول؟- قال أصغر الصيادين.- تذكر ما قاله كاريلا: اكتفوا بما سيرسله لكم البحر.

- متطلبات العجائز والأولاد قليلة،- ضحك رئيس الصيادين.- أما نحن فنخجل من العودة دون أن نملأ القارب حتى الحواف.

ورمى الصيادون الشباك في البحر مجدداً. لكنهم لم يوفّقوا، أخرجوا الشباك فارغة دون أن يصطادوا حتى سمكة صغيرة واحدة. تكدّر الصيادون، فقال رئيسهم:

- هذا لأننا لم نحل العقدة الثالثة على وشاح كاريلا العجوز. رأيتم بأنفسكم أن وشاحه ليس عادياً. كل عقدة فيه ترسل الحظ. بقيت عقدة واحدة، لنحلها أيضاً وسيمتلئ قاربنا حتى حوافه.

- يا رئيس الصيادين،- اعترض هذه المرة أكبر الصيادين عمراً.- كاريلا نبّهنا ألا نلمس هذه العقدة.

- أنت تقريباً عجوز،- أجاب الرئيس.- ولدى العجائز مثل معروف: لا تجرّب قدرك ثلاث مرات. لكن هناك مثل آخر يقول: الأغبياء فقط يرفضون الحظ حين يأتيهم.

- هذا صحيح.- قال الصيادون.- فليكن ما يكون! حلّ العقدة أيها الرئيس.

كان الوشاح جاهزاً في يدي الرئيس، أمسكه من طرفه وحلّ العقدة الأخيرة. هاج البحر على الفور وارتفعت الأمواج، وتراقصت العوامات على الشباك.

- إنه السمك!- قال الرئيس.- ألم أقل لكم؟

فرح الصيادون وبدؤوا يسحبون الشباك التي بدت لهم ثقيلة جداً كالمرة الأولى. لكن الصيادين قوم أشداء، أمسكوا بالحبال سوية وسحبوا الشباك. وماذا؟ لم يكن في الشباك سوى سمكة واحدة. ولدهشتهم كانت سمكة كراكي كبيرة، ذيلها مثلّم كأنه مقطوع بفأس.

- كم هي مخيفة!- تعجّب الصيادون ورموا السمكة في القارب بانزعاج.

في هذه الأثناء كانت الشمس تقترب من سطح الماء في الأفق، وهدأت الأمواج كما يحدث عادة قبل المغيب. فجأة سمعت أصوات غريبة فوق البحر الساكن. تلفّت الصيادون من حولهم وفكروا «من الذي نزل إلى البحر في هذا الوقت؟»،

لكنهم لم يشاهدوا قارباً واحداً في أي مكان.

- لا بد من أنها صرخات النوارس.- قال الرئيس.

وهنا صدح صوت بوق رنّان ومتواصل وكأن الراعي ينادي قطيعه، ثم سأل صوت امرأة:

- هل الكل في البيت؟

فأجابها صوت فتاة رنان:

- الكل في البيت. ما عدا التيس مقطوع الذيل.

ومن جديد عزف البوق بصوت أعلى وأكثر تواصلاً.

فجأة بدأت سمكة الكراكي تتخبط في القارب، وتفتح فمها ذا الأسنان على اتساعه. لكن الرئيس لكزها بجزمته ثم صاح بزملائه بصوت مرتفع:

- ارفعوا المرساة! هذه الموسيقى لا تعجبني. دعونا نغادر هذا المكان بسرعة.

رفع الصيادون المرساة واستداروا بالقارب نحو شاطئ بلدتهم.

لكن ما هذه الأعجوبة! جدّفوا لكن القارب لم يتحرك. كأن البحر قد تجمد، أو أن قاع القارب قد التصق بالمكان الذي رموا فيه المرساة.

جدف الصيادون معاً لكن القارب لم يتقدم شبراً واحداً إلى الأمام. ظلوا على هذا الحال الليل بطوله، يتركون المجاديف يائسين تارة، ويبدؤون التجديف تارة أخرى من دون فائدة. وبدا وكأنه لا يمكن زحزحة القارب من مكانه بأية قوة.

عند الفجر، ما إن أصبح لون الشرق مائلاً إلى الاحمرار قليلاً، حتى سُمِعت الأصوات الغريبة فجأة من جديد.

- هل استيقظ الكل؟ هل اجتمع الكل؟

- الجميع استيقظوا، الكل اجتمعوا، ما عدا التيس المقطوع الذيل، لم يظهر حتى الآن.

عزف البوق مجدداً ورن جرسٌ برقّة. تحرّك السمك فجأة في القارب، وزحفت سمكة الكراكي العجيبة خارجة من قاعه، فتحت فمها ذا الأسنان وخفقت بغلاصمها.

- يا لها من سمكة بشعة!- بربر الرئيس وخطر له فجأة: « ربما المسألة كلها متعلقة بها؟ ربما هي من ينتظرونها؟»

نهض عن المقعد، حمل السمكة ورماها خارج القارب. وعلى الفور في مكان بعيد، ربما في قاع البحر، صفّق شخص وصرخ بفرح:

- انظروا، انظروا، لقد عاد التيس المقطوع الذيل! انظروا كم هو مسرع، حتى أنه ينفخ الفقاقيع!

لم يسمع الصيادون شيئاً بعد ذلك. هبت ريح قوية وهدرت الأمواج بقوة فما عادوا يستطيعون سماع بعضهم البعض. انتُزِع القارب من مكانه وحملته الأمواج. دار الصيادون طوال اليوم في البحر الهائج. تارة يطير القارب عالياً وكأنه يريد التحليق بين الغيوم، وتارة يسقط عميقاً نحو الأسفل حتى يكاد يصل إلى قاع البحر تقريباً. لا يذكر العجائز أنفسهم خلال حياتهم الطويلة مثيلًا لعاصفة كهذه.

في المساء وصل القارب إلى جزيرة صخرية. نزل الصيادون إلى الشاطئ وأخرجوا القارب بصعوبة إلى اليابسة.

- ما هذه الجزيرة؟- تساءلوا.- إلى أين حملتنا الأمواج؟

هنا خرج عجوز صغير من خلف الصخرة. كان ظهره محنياً تماماً، أما لحيته البيضاء فتكاد تلامس الأرض تقريباً.

- إنها جزيرة هيوما،- قال العجوز.- لا عجب من أنكم لا تعرفونها، فنادراً ما يأتي إليها أحد بإرادته.

قاد العجوز الصيادين إلى كوخ خشبي خلف الصخور، أدفأهم، أطعمهم، ثم سألهم:

- من أنتم ومن أين أتيتم؟ ولم خرجتم إلى الصيد قبل موسمه؟

- لم يكن أمامنا خيار آخر! لقد فرغت مستودعاتنا وحل الجوع بالبلدة.- أجاب الصيادون وأخبروا العجوز بكل ما حصل. لكنهم أخفوا عنه أنهم حلّوا العقدة الثالثة المحرّمة على وشاح كاريلا العجوز.

استمع إليهم العجوز وقال:

- تعرفت في شبابي على كاريلا الذي تتحدثون عنه. إنه صياد شجاع وحكيم. البحر بالنسبة له كبيته. أتعرفون أنه وجه قاربكم إلى مرعى سيدة البحار مباشرة؟ إنها ترعى سمكها هناك. لكن سمكها ماكر لا يقع في الشباك أبداً. السمك الذي أخرجتموه بشباككم سمك يأتي سابحاً من بعيد ليرعى في مراعي سيدة البحر. أما كيف وصلت سمكة الكراكي المقطوعة الذيل إلى شباككم فهذا ما لا أفهمه. بماذا استدرجتموها؟

هنا أدرك الصيادون المصيبة التي أراد أن يجنبهم إياها كاريلا، لكنهم لم يجيبوا العجوز بشيء. أحسوا بثقل على قلوبهم. لم تهدأ العاصفة البحرية، الريح تصفر في مدخنة المدفأة، ويطرق النوافذ رذاذ كبير. واضح أن هذا الطقس السيئ سيستمر أياماً.

رقد الصيادون في زاوية الكوخ فوق شباك قديمة وناموا بعمق. أيقظهم العجوز عند الفجر. وكالسابق كانت العاصفة ما تزال تزأر خلف النوافذ، والأمواج تصطدم بالصخور. اكتأب الصيادون تماماً.

- ماذا نفعل؟- سألوا العجوز.- على هذه الحال لن نخرج من هنا أبداً، بينما الأطفال الجياع ينتظروننا في الديار.

- لا بأس.- أجاب العجوز.- قد تستطيعون الرحيل. أعطوني وشاح كاريلا العجوز.

أخرج الرئيس الوشاح من دون حماسة وأعطاه للعجوز. نظر العجوز إلى الوشاح وهزّ برأسه.

- سبق لي أن رأيته. لكنني أذكر أنه كان معقوداً بثلاث عقد. لقد حللتم عقدتين كما قلتم لي، فأين العقدة الثالثة؟

لم يكن أمام الصيادين إلا أن يسردوا الحقيقة كاملة.

عبس العجوز.

- أنتم بحارة سيئون. لم تستمعوا لكاريلا العجوز وأردتم خداعي أيضاً.

شعر الصيادون بالخجل فأطرقوا برؤوسهم.

- حسناً، أرى أنكم قد نلتم ما يكفي من العقاب. سأساعدكم من أجل خاطر كاريلا العجوز، وأطفالكم الجياع.- قال العجوز.

أخذ العجوز الوشاح وعقد عليه عقدة وقال:

- في المستقبل، يجب أن تكون وعودكم متينة كهذه العقدة.

وما إن عقد العقدة حتى هدأت الريح خلف النافذة على الفور وتوقفت الأمواج. كأن العاصفة لم تكن موجودة. انطلق الصيادون إلى قاربهم بعد أن شكروا العجوز الذي رافقهم حتى الشاطئ، وحين رفعوا الأشرعة لوح بيده وكأنه يودعهم. وعلى الفور هبت ريح خفيفة نفخت الأشرعة، وانطلق القارب في البحر الهادئ.

عاد الصيادون في اليوم نفسه إلى قريتهم، واكتفوا بما اصطادوه حتى موسم الصيد.

جيد كل ما ينتهي نهاية جيدة، لكن الصيادين لم ينسوا يوماً الدرس الذي تعلموه. ومنذ ذلك الوقت أصبحت كلمة البحارة متينة كالعقد البحرية التي يعقدونها على الحبال.

لا تنسوا هذه الحكاية أنتم أيضاً، فليس على البحارة فقط أن يحفظوا وعودهم.

نيرينغا وناغليس

حكاية ليتوانية

عاش على شاطئ بحر البلطيق، عند مصب نهر نيمان، صياد وزوجته دون أن يرزقا بأطفال سنين طويلة. أخيراً ولدت لهما ابنة سمّياها نيرينغا. بدت وهي مستلقية في سريرها، بيضاء، متورّدة وقوية. كانت حنونة ومرحة كالشمس التي تداعب صباحاً أمواج البلطيق.

مرّ الوقت وكبرت نيرينغا حتى صارت أطولَ من أطول صنوبرة. عيناها أكثر زرقة من سماء الصيف، طول جدائلها التي بلون الكهرمان ثلاثين ذراعاً، تتموج في الريح كنهر النيمان. أيضاً كان قلب نيرينغا طيباً. فإن علق شخص في الرمال- والرمال على شاطئ البحر سريعة الانهيار ومتقلقلة- تخرجه نيرينغا مع فرسه وعربته وهي تمزح. أو مثلاً: يهيج البحر حاملاً السفينة على أمواجه نحو الشاطئ ويكاد يرميها على الصخور، عندها تدخل نيرينغا في الماء وكأن شيئاً لم يكن، فتسحب السفينة إلى الشاطئ ممسكة بسلسلة المرساة.

لم يشعر البحارة بالخوف من العواصف التي عصفت بكثرة في السابق عند مصب نيمان، لأنهم يعرفون أن نيرينغا قريبة دائماً. أحضروا لها هدايا كثيرة، الحرير واللؤلؤ، الجوخ، أحزمة ذهبية مشغولة، خواتم وأساور. ونشروا صيتها الحسن في العالم كله.

حين تقلب العاصفة القوارب في عرض البحر، من يأتي لمساعدة الصيادين؟ نيرينغا بالطبع! تحمل الصيادين وتضعهم في مريلتها، تفرغ الماء من القوارب، تعصر الشِباك وتضع الكل على الشاطئ ليجفّوا.

رافقت نيرينغا الصيادين لصيد السمك في الطقس الهادئ. تسير نيرينغا أمام الصيادين الذين يعومون في زوارقهم فتهرب الأمواج منها إلى جميع

الجهات. تحمل على كتفها عموداً من ثلاث صنوبرات. وتسوق بهذا العمود السمك إلى الشباك التي يرميها الصيادون. فالطقس الهادئ عند مصب نيمان نادر جداً.

ملك البحار والرياح، الثعبان ذو الرؤوس التسع هو سبب العواصف التي تعصف بالمصب. أحياناً يثور ويسترسل في اللعب، يفرح بإغراق السفن وإهلاك الناس. ولا يكتفي بذلك بل يرسل الأمواج العالية نحو الشاطئ ويغرق السهول والحقول، يحمل إلى البحر أكواخ الصيادين بمن فيها، وكذلك الماشية وأغراض البيت.

ذات يوم كانت نيرينغا تستحم عند مصب نيمان. تلعب بالأمواج، تنظر حولها وتفكر بشيء ما. خطر لها أن تصب حاجزاً وسط مصب نيمان، لتفصله عن البلطيق عندها لن يتمكن الثعبان ذو الرؤوس التسع من الوصول إلى مساكن البشر، إلى سهولهم وحقولهم، ولن يغرق زوارق الصيادين.

استدعت نيرينغا الصيادين وقالت لهم:

- يجب أن نعزل أنفسنا عن البلطيق بسد. ستهدأ مياهنا وتصبح مناسبة لصيد السمك، وتسلم سهولنا وحقولنا وبيوتنا من الخطر. ولن يخيفنا ذو الرؤوس التسعة.

صرخ الصيادون الشباب على الفور:

- حسناً يا نيرينغا، سنصب سداً. سنفعل كل ما تشيرين به.

ولم لا! فقوة شبابهم تفيض. أما العجائز ففكروا طويلاً، تناقشوا، وأخيراً وافقوا:

- حسناً يا نيرينغا، سنصب سداً.

عبّرت هذه الكلمات عن حكمتهم وخبرتهم.

اجتمع كثير من الناس ليقدموا المساعدة لنيرينغا، بعضهم أتى راكباً على فرسه، الآخر مشياً على قدميه والبعض الآخر وصلوا في زوارقهم حاملين فؤوسهم ومعاولهم وقطّاعاتهم وحبالهم. مهّدوا الجبال، أزالوا الحجارة من المكان. كانت نيرينغا ترمي بهذه الحجارة إلى قاع البحر وتهيل الرمل فوقها. تحمل الرمل في مريلتها التي تسع كثيباً كاملاً. تفرغ الكثيب في الماء فتتدحرج أمواج بارتفاع بيت في مختلف الاتجاهات.

سمع الثعبان ذو الرؤوس التسع بنيّة نيرينغا. غضب وأرسل الريح وعكّر أعماق البحر. استمرت العاصفة اثنا عشر يوماً وليلة. عمل الناس اثنا عشر يوماً وليلة. تغلبوا على كل شيء، وصنعوا حاجزاً طويلاً جداً وسط مصب نيمان، فعزلوه عن مملكة الثعبان ذي الرؤوس التسع.

عادت نيرينغا إلى البيت ونامت ثلاثة أيام. وعندما استيقظت شاهدت الخليج هادئاً لا يتحرك.

أدرك الثعبان ذو الرؤوس التسع أنه لن يستطيع هدم حاجز نيرينغا المتين القوي. لكنه لم يهدأ، صار يصخب في البلطيق، يغرق السفن ويهلك الناس. عندها غضبت نيرينغا وقالت:

- يجب أن نقتل الثعبان ذا الرؤوس التسع.

انتشرت أخبار نيرينغا في الأرض كلها. أتى فرسان شجعان لخطبتها من مختلف البلاد لكنهم جميعاً دون استثناء تلقّوا الجواب نفسه إن كانوا أمراءً، نبلاءً أو أبناء أناس عاديين:

- سأتزوج ذاك الذي يقتل الثعبان ذا الرؤوس التسع!

ولكن كيف السبيل إلى قتله، كيف السبيل لإخراجه من مملكته؟ فلا أحد يعرف اسم ذي الرؤوس التسع ليدعوه إلى النزال.

عاد كثير من الفتيان الشجعان خالي الوفاض. ومنهم من ذهب للبحث عن الثعبان لكنهم لم يعودوا.

حزنت نيرينغا: « هل حقاً لا يوجد على وجه الأرض شاب شجاع يستطيع التغلب على ذي الرؤوس التسع؟». تخرج أحياناً إلى الشاطئ، تجلس مسندة رأسها بيديها ناظرة ساعات طويلة نحو البحر، إلى أن يحل الليل.

ذات مرة كانت نيرينغا جالسة على كثيب رملي، تداعب الأمواج الهادئة قدميها البيضاوين، وتحرك الريح شعرها. نظرت نيرينغا فشاهدت فوق سطح البحر غيمة تسبح لكنها لا تشبه الغيم. وحين ازدادت الغيمة اقتراباً أدركت نيرينغا أنه شراع، ثم ظهرت السفينة. لكن ما هذه السفينة! صواريها مصنوعة من ست صنوبرات كبيرات، مؤخرتها مذهبة، مقدمتها حمراء داكنة، أشرعتها من الحرير الأبيض. توقفت السفينة بعيداً في البحر، انغرزت في القاع الرملي.

نزل من السفينة الصياد ناغليس، وأصله من جيمايتي. كان فارساً فارعاً، عريض الكتفين، قوي كشجرة الدلب. خدد أرض جيمايتي بالأنهار والبحيرات، رفع فيها جبالاً وهضاباً فنبتت الغابات وحدها. أحياناً يسير ناغليس فتنخسف الأرض تحت قدميه، ويمتلئ حذاؤه بالماء والرمل والحجارة. وحيث يتوقف العملاق نافضاً التراب عن نفسه يرتفع جبل أو هضبة، وفي المكان الذي يفرغ فيه الماء من حذائه تظهر بحيرة أو نهر.

اشتهر ناغليس بأعمال بطولية أخرى أيضاً. قَتلُ الدب بسيط بالنسبة إليه، أما قتل الخنزير البري فلا يعّد حتى صيداً. تحسده الثيران البرية على قوته، يرتعش الوشق والأيائل خوفاً منه ويختبئون عن ناظريه لأنه يستطيع الوصول إليهم بيده الطويلة من مسافة ميل كامل.

أحب الناس ناغليس لأنه ساعدهم في اقتلاع الغابات، وبناء الأكواخ من جذوع كبيرة، وبسط الجسور فوق الأنهار العريضة.

وصلت أخبار نيرينغا إلى ناغليس أيضاً. استدعى الشعب إلى شاطئ البحر، بنى سفينة وأبحر حتى وصل إلى مصب نيمان.

نزل ناغليس من السفينة فارتفعت الأمواج في البحر. وصلت إحدى الأمواج إلى نيرينغا واصطدمت بركبتيها. دفعت نيرينغا الماء فتدحرجت الموجة عائدة إلى ناغليس، قفزت بمرح وبللت الضيف حتى الخصر. تقاذفا الأمواج عدة مرات، ثم أخرج ناغليس السفينة إلى مكان ضحل وسار في الماء نحو الشاطئ.

وصل ناغليس إلى والد نيرينغا وقال:

- أنا الصياد ناغليس. زوجني ابنتك.

- ابنتي ستتزوج فقط ممن سيقتل ملك البحار والرياح، الثعبان ذي الرؤوس التسع.- أجاب الأب.

- حسناً، سأقتل الثعبان.

- كيف ستقتله؟ إنه لا يخرج من البحر أبداً، ولا أحد يعرف اسمه! يقولون أن هناك ساحراً عجوزاً يعرف اسمه، لكنه يعيش على جبل مرتفع، في غابة كثيفة، ولا أحد يستطيع الوصول إليه.

- سأعرف اسم صاحب الرؤوس التسع.- قال ناغليس، ودع الأب وذهب للبحث عن الساحر العجوز.

سار عبْر الغابات والمستنقعات أياماً وليالي عديدة، عَبَر الأنهار العريضة والبحيرات العميقة. سد جوعه بصيد الخنازير البرية وروى عطشه من مياه الينابيع، وارتاح في ظلال الأشجار الوارفة.

أخيراً وصل ناغليس إلى الجبل العالي. كان الجبل مكتسياً بغابة كثيفة، وفي قمة الجبل بيت يتصاعد منه الدخان. تسلق ذاك الجبل فشاهد قرب النار عجوزاً تغطيه الطحالب حتى بات أشبه بقطعة من جذع شجرة.

قال له ناغليس:

- أنا الصياد ناغليس. أخبرني باسم ملك الرياح والبحار. أريد أن أقتله.

رفع العجوز حاجبيه الأشيبين، نظر من تحتهما وضحك:

- أتاني كثير من الشجعان أمثالك، لكنهم ظلوا هنا. يا له من طلب، يريد معرفة اسم الوحش!- رفع العجوز إصبعه وأشار نحو شجرة دلب قوية عالية.- أترى شجرة الدلب تلك؟ في داخلها يوجد فأس، وفي الفأس صاعقة. إن استطعت التلويح بالفأس ثلاث مرات فوق رأسك سأخبرك باسم الثعبان، وإن فقدت قوتك وما عدت قادراً على التلويح به فستقتلك الفأس.

اقترب ناغليس من الشجرة. أخذ الفأس ولوح به فوق رأسه. الفأس تريد الإفلات من يده، والصاعقة تضرب. لم ينظر ناغليس إلى شيء، لوح بالفأس ثلاث مرات فوق رأسه ثم ضرب به شجرة الدلب بكل قوته. اضطرمت النار، فاحت رائحة الكبريت وتحولت الشجرة إلى غبار.

- حسناً يا بني، لقد ربحت!- قال العجوز لناغليس.- اسم ملك الرياح والبحار غالفيرداس. خذ الفأس واذهب إلى شاطئ البحر ونادِ الثعبان باسمه ثلاث مرات.

وضع ناغليس الفأس على كتفه، شكر العجوز وانطلق عائداً عبر الغابات والمستنقعات، عبر الأنهار العريضة والبحيرات العميقة.

عاد ناغليس إلى شاطئ البحر. وقف على الكثيب وصرخ بأعلى صوته:

- أخرج يا غالفيرداس!

اضطرب البحر وهبت الريح.

نادى ناغليس الثعبان للمرة الثانية:

- أخرج يا غالفيرداس!

عصفت الريح وهاج البحر.

نادى ناغليس للمرة الثالثة:

- أخرج يا غالفيرداس!

تقلقل البحر حتى الأعماق، هبت عاصفة قوية، ارتفعت زوابع مائية حتى السماء. خرج الثعبان ذو الرؤوس التسع من الأعماق. جسده مغطى بالطحالب والقواقع، أسود كالليل، أفواهه التسعة تنفث ناراً وفي عيونه يلمع البرق. خرج إلى الشاطئ وسأل بصوت كالرعد:

- من يناديني؟

- أنا الصياد ناغليس! حلت نهايتك.

ضرب ناغليس الثعبان بفأسه. لمعت الصاعقة وسقطت ثلاث من رؤوس الثعبان في الماء. خرج البحر عن شواطئه، وأغرق ناغليس حتى الركبتين.

لوح ناغليس بفأسه مجدداً وقطع ثلاثة رؤوس أخرى. عندها غمر البحر ناغليس حتى الخصر. الأمواج تضرب الصياد في صدره، تحاول إسقاطه، تسحبه نحو الأعماق، أما العاصفة فتحاول اختطاف الفأس من يده.

استجمع ناغليس قواه، ثبت قدميه على الأرض جيداً، لوّح بالفأس وضرب الثعبان للمرة الثالثة. خرجت صاعقة لمّاعة من الفأس، وطارت رؤوس الثعبان الأخيرة إلى الماء. وعلى الفور توقفت العاصفة وهدأ البحر وسطعت الشمس.

تغلب ناغليس على الثعبان وعاد إلى الصيادين سعيداً. استقبلت نيرينغا عريسها بفرح. احتفلوا بالعرس وعاشوا بسعادة.

أطلق الناس كعربون عن امتنانهم اسم نيرينغا على شريط ضيق يفصل خليج كورسك عن البلطيق، وسموا الجبال القريبة من بالانغا باسم ناغليس.

العروس البحرية

حكاية من لاتفيا

عاش على شاطئ البحر صياد فقير يقتات مع عائلته من سمك البحر. ذات مرة لم يصطد خلال ثمانية أيام سمكة واحدة. حل الجوع. وفي اليوم التاسع لم تتحسن الأمور أيضاً. يئس الصياد تماماً، أدار ظهره إلى الشاطئ وجدف، فجأة شاهد قارباً فيه تسع رجال. وحين اقترب القارب أكثر، أدرك الصياد أنه يرى رجلاً واحداً بتسع رؤوس وليس تسعة رجال.

- ما أحوال الصيد؟- سأل ذو الرؤوس التسع.

- سيئة جداً. تسعة أيام وأنا أرمي الشباك دون فائدة.- أجاب الصياد.- جائع كالكلب. إن لم يكن هناك سمك فماذا سآكل؟

- هكذا ستهلك من الجوع.- قال ذو الرؤوس التسع.- لكنك لن تصطاد السمك إلا إذا أعطيتني ابنك ليعمل لدي. لا تخش عليه، سيعيش حياة جيدة عندي. إن وافقت، احضره غداً في مثل هذا الوقت إلى الشاطئ. وبعد ذلك- صدق ما أقول لك- ستصيد السمك على الفور.

عاد الصياد إلى البيت وأخبر أسرته بما جرى معه. أخذ الابن يهدئ أباه:

- لا تحزن يا أبي. لست خائفاً من ذي الرؤوس التسع. فليكن الأمر كما يريد، سأذهب وأعمل أجيراً لديه. لا يجب أن نموت جميعاً من الجوع.

لم يبق أمام الصياد من مخرج سوى اصطحاب ابنه إلى شاطئ البحر.

أجلس ذو الرؤوس التسعة الشاب في القارب وأبحر. وراح الصياد ينظر في أثره ويبكي بحرقة مشفقاً على ابنه. وماذا يفعل؟ في كلا الحالتين كان في وضع سيء.

أبحر وأبحر ذو الرؤوس التسع والشاب في البحر إلى أن وصلا أخيراً إلى جبل كبير. خرج ذو الرؤوس التسع من القارب واختفى في مكان ما. بقي الشاب ينتظره في القارب. انتظر حتى المساء ولكن لم يأت أحد لاصطحابه. عندها انطلق إلى الشاطئ وبدأ يصعد في الجبل. سار طويلاً حتى وصل إلى مغارة كبيرة. نظر إلى المغارة فشاهد فيها بوابة معدنية. طرق الشاب البوابة فخرجت لاستقباله فتاة جميلة.

- كيف وصلت إلى هنا أيها الشاب؟- سألته.

- سأعمل أجيراً. أحضرني السيد إلى هذا الجبل واختفى في مكان ما. هل هو موجود هنا؟

- بالطبع إنه هنا، لكنه نائم الآن. لكن هل ستفعل كل ما يأمرك به السيد؟

- لا أعرف إن كنت أستطيع أم لا، لكننا سنرى!

- واضح أنك شاب جريء. سأساعدك، وأعلمك ماذا عليك أن تفعل. اسمع، سيستيقظ ذو الرؤوس التسع مساء، سيناديك على الفور ويرسلك إلى العمل. لكن عليك أن تقول له: « لقد استأجرتني لأعمل نهاراً، أنا مصاب بالعشى الليلي ولا أرى شيئاً في الليل». وهنا سيضربك ويعذبك، لكن عليك أن تتحمل ولا تطلب الرحمة. بعدها سيكون كل شيء على ما يرام.

جرت الأمور كما قالت الفتاة. استيقظ ذو الرؤوس التسع مساء وأرسل الشاب إلى العمل. لكن الشاب قال له:

- طلبت أن أعمل نهاراً فقط. أنا مصاب بالعشى الليلي ولا أرى شيئاً في الليل.

حين سمع ذو الرؤوس التسع هذا انقض على الشاب وبدأ يعذبه ويضربه، ولكن الشاب تحمل ولم يقل كلمة واحدة. أخيراً تعب ذو الرؤوس التسع.

- يا له من شاب!- قال ذو الرؤوس التسع.- لم يتأوه حتى.

ورقد لينام. وما إن نام ذو الرؤوس التسع حتى أتت الفتاة، بللت جراح الشاب بالماء الشافي فالتأمت على الفور. أحس الشاب بأنه صار أقوى، وازداد طولاً.

- لا تعجب.- قالت له الفتاة.- القوة التي هدرها ذو الرؤوس التسع في ضربك وتعذيبك انتقلت إليك. تحمّل ليلة أخرى بعد وأفعل كما علّمتك.

في الليلة الثانية بدأ ذو الرؤوس التسع بتعذيب الشاب مجدداً، أما الشاب فضغط على أسنانه وبقي صامتاً. وأخيراً تركه ذو الرؤوس التسع.

- حتى أنه لم يتأوه.- قال ذو الرؤوس التسع.

وذهب لينام. وما إن رقد حتى أتت الفتاة وعالجت جراح الشاب، فتضاعفت

قواه عن اليوم السابق. وفي الليلة الثالثة تكرر الأمر نفسه. ظل ذو الرؤوس التسع يضرب ويعذب الشاب، وأخيراً صرّ على أسنانه من الغضب وقال:

- حتى أنه لم يطلب الرحمة.

وما إن ذهب لينام حتى أتت الفتاة، عالجت الشاب، فتضاعفت قواه ثلاث مرات.

- أصبحت الآن جباراً حقيقياً ويمكنك أن تنازل ذو الرؤوس التسع.- فرحت الفتاة.- إليك هذا السيف الحاد والعشبة السحرية. اذهب واقطع جميع رؤوسه. وإن بدأ يحرقك، ارم عليه هذه العشبة فتنطفئ النار.

أخذ الشاب السيف والعشبة السحرية وذهب إلى ذي الرؤوس التسع الذي بدأ يحرقه بالنار. عندها رماه الشاب بالعشبة السحرية فانطفأت النار. لوح الشاب بالسيف وقطع الرؤوس التسع جميعها. وفي اللحظة ذاتها اهتز الجبل وانهار، وظهرت مكانه مدينة لا مثيل لجمالها في العالم كله.

قالت الفتاة:

- أنا ابنة ملك البحار الوحيدة، لقد قهر ذو الرؤوس التسع مدينتنا بعد موت والدي مباشرة وسجنني. لقد تغلبت على الشرير، يمكنك الآن أن تصبح ملكاً للبحار وأنا سأكون زوجتك الملكة. موافق؟

- موافق.- أجاب الشاب بفرح.- فأنت فتاة طيبة وهذا من دواعي سروري. لكنني أود أن أدعو والديّ وأقاربي وأصدقائي إلى العرس.

- كما تشاء.- أجابت ابنة ملك البحار.- خذ هذا الخاتم. دوّره على راحة كفك ثلاث مرات وستنتقل على الفور إلى المكان الذي تريد. لكن إياك أن تخبر أحداً أن لك عروساً جميلة.

دوّر الشاب الخاتم ثلاث مرات وفي اللحظة ذاتها وصل إلى بيته. دعا والده ووالدته إلى العرس، ثم ذهب ليدعو أقاربه. وحين مرّ قرب بيت السيد، رآه الثري وسأله:

- إلى أين أنت مستعجل هكذا؟

فأخبره الشاب بالحكاية كلها.

- وكيف ستعود الآن إلى ابنة ملك البحار؟

فشرح له الشاب أن لديه خاتماً سحرياً.

- وهل عروسك جميلة؟

- لا، ليست جميلة إطلاقاً..

- هل هي جميلة كابنتي الكبرى؟

- أبداً، لا مجال للمقارنة.

- ربما جميلة كابنتي الوسطى؟

- على الإطلاق.

- إذن ابنتي الصغرى أجمل منها بكثير.

- دعني وشأني أنت وبناتك. لا مجال أمامهن للتنافس مع عروسي. إنها أجمل منهن مئة مرة.

لم يدرك الفتى كيف أفلتت منه هذه الكلمات، لكنه لم يستطع التراجع عما قاله. والأسوأ من ذلك أن خاتمه السحري اختفى في اللحظة نفسها. فكيف سيعود الشاب الآن إلى عروسه؟

سار وهو يكاد يبكي. في طريقه قابل عجوزاً تحمل على كتفيها حِملاً من الحطب، ظهرها محني من ثقله. أشفق عليها الشاب وقال:

- دعيني أساعدك يا جدة.

لم تكن المرأة عجوزاً عادية، بل «لايما» الساحرة. شكرت الشاب على مساعدته وسألته لم هو حزين هكذا. فأخبرها الشاب بمصيبته.

- لمَ لم تستمع إلى نصيحة عروسك؟

- لا أدري كيف فعلت هذا. شعرت أنها مغبونة.

- لا تحزن، سأساعدك. إليك هذا الحذاء، انتعله واذهب إلى القمر واسأله كيف تصل إلى المدينة- الجبل.

ذهب الشاب إلى القمر ولكنه أرسله إلى الشمس. ذهب إلى الشمس لكنها أرسلته إلى الريح.

- إنها تطير في كل مكان وتعرف كل شيء.

ذهب الشاب إلى الريح. ألقى السلام وصار يسأل عن المدينة- الجبل.

- حسناً.- قالت الريح.- سأحاول العثور على المدينة- الجبل.

أخذت اثني عشر مزماراً، وخرجت إلى طريق واسع وبدأت تنفخ. على الفور حضرت بناتها، إحدى عشرة ريحاً، ولكن الريح الثانية عشرة الشمالية تأخرت ولم تحضر. عندها نفخت الأم بقوة أكبر في المزمار الثاني عشر فاهتزت الجبال وانحنت الأشجار حتى لامست الأرض.

لم تمر دقيقة واحدة حتى حضرت الريح الشمالية.

- بماذا تأمريني يا أمي؟

- أين تأخرت؟- سألتها أمها.

- كنت بعيدة جداً، عند المدينة – الجبل.

- خذي هذا الإنسان إلى هناك.

- ماذا تقولين يا أمي؟ كيف له أن يلحق بي؟

- لا تخافي فلديه الحذاء الذي أعطته له الساحرة الطيبة لايما.

طارت الريح الشمالية ولحق الشاب بها. لا يتأخر عنها، يدوس على كعبي الريح. وسرعان ما وصل كلاهما إلى المدينة- الجبل.

ذهب الشاب إلى عروسه. تزوجا وعاشا حياة سعيدة.

الثعلبة الماكرة

حكاية كورياكية

جلست الثعلبة على الشاطئ تفكر: « كيف أحصل على سمك طازج لآكله؟».
نظرت فرأت جذع شجرة يسبح في النهر، وعلى الجذع يجلس نورسان. سألت الثعلبة:

- ماذا تفعلان أيها النورسان؟

- نصطاد السمك.

- خذاني معكما.

- اقفزي.

قفزت الثعلبة فانقلب الجذع، طار النورسان، أما هي فسقطت في الماء، وحملها تيار النهر إلى البحر. نظرت الثعلبة فشاهدت الماء حولها، قالت لقوائمها:

- هيا يا قوائمي، ستصبحون مجاديفي.

وقالت لذيلها:

- وأنت أيها الذيل ستكون الدفّة!

وها هي الثعلبة تسبح وكأنها في قارب. قوائمها تضرب الماء كالمجاديف، وذيلها كالدفة يميل تارة إلى هنا وتارة إلى هناك.

لكن الثعلبة نسيت أن تطلب من ذيلها التوجه إلى الشاطئ، فقادها إلى عرض البحر.

سبحت الثعلبة وسبحت لكنها لم تلمح الشاطئ. سبحت حتى وصلت إلى عرض البحر تماماً. ولم تعرف الثعلبة إلى أين تسبح بعد ذلك. وهنا صادفت فقمة. قالت الفقمة:

- إلى أين سبحت أيتها الثعلبة؟ لا بد من أنك تهت في بحرنا. لن تصلي إلى الشاطئ الآن.

فقالت الثعلبة:

- أعرف إلى أين أسبح. أردت أن أرى إن كانت هناك حيوانات أخرى في مياه البحر. فقد سمعت أنكم أصبحتم قلة قليلة.

أجابت الفقمة:

- أنت مخطئة. ما تزال هناك حيوانات كثيرة في مياه البحر. هناك نحن الفقمة وفيلة البحر والحيتان.

- حقاً؟- قالت الثعلبة.- لن أصدق أبداً ما لم أر بنفسي. اصعدوا جميعاً من أعماق البحر، واستلقوا بصف حتى الشاطئ. وأنا سأعدّكم.

وهنا صعدت كل حيوانات الفقمة، وأفيال البحر والحيتان واستلقوا على الماء صفاً واحداً حتى وصلوا الشاطئ.

ركضت الثعلبة على ظهورهم وكأنها جسر. تركض وتعدّ:

- فقمة، اثنتان، ثلاث.. فيل بحر، فيلين، ثلاثة فيلة.. حوت، حوتين، ثلاثة حيتان..

وهكذا ركضت الثعلبة حتى وصلت إلى الشاطئ، ثم خرجت إليه وصرخت للفقمة:

- صحيح ما قلته أيتها الفقمة، مازالت هناك حيوانات غبية كثيرة في أعماق البحر. يمكن أن يبني المرء جسراً منكم عبر البحر كله. والآن اسبحوا إلى حيث تشاؤون أما أنا فسأرتاح.

غادرت الحيوانات البحرية أما الثعلبة فخلعت عنها فروتها وعلقتها على شجيرة لتجف، ووضعت ذيلها على حجر كي يجف أيضاً. ثم أخرجت إحدى عينيها من محجرها، علقتها على غصن وقالت لها:

- راقبي جيداً كيلا يأخذ أحد فروتي أو يسرق ذيلي.

ورقدت الثعلبة لتنام في الشمس.

وبينما كانت الثعلبة نائمة وصل عَقعَقَان . نظر العقعقان فشاهدا عين الثعلبة معلقة على الغصن تلمع، تنظر في كل الاتجاهات. أعجَبَت العقعقين عين الثعلبة، فأخذاها وطارا بعيداً.

شبعت الثعلبة نوماً، استيقظت، لبست فروتها، علقت ذيلها، بدأت تبحث عن عينها ولكن العين لم تكن موجودة.

- يا لها من عين حمقاء!- فكرت الثعلبة.- علقتها لتحرس لكنها لم تستطع حتى حراسة نفسها. سأضطر الآن للبحث عن عين أخرى.

ذهبت الثعلبة إلى الغابة. سارت وسارت فشاهدت شجيرة آس أسود. قطفت الثعلبة أكثر الثمرات نضجاً ووضعتها بدل عينها. نظرت الثعلبة فرأت أن كل شيء حولها صار أسود. لم يعجبها ذلك. رمت بثمرة الآس الأسود وأكملت سيرها. خرجت إلى المرج فشاهدته أحمر من كثرة ثمار عين البقر. انتقت الثعلبة أكثر الحبّات نضجاً ووضعتها بدل عينها. نظرت فرأت أن كل شيء حولها صار أحمر، فرمت بحبة عين البقر أيضاً.

أكملت سيرها فشاهدت قطعة جليد على الأرض، أخذتها الثعلبة ووضعتها بدل عينها. قطعة الجليد شفافة وصافية، كل شيء حول الثعلبة أصبح واضحاً. فكرت الثعلبة: «عيني الجديدة هذه ممتازة، أرى بها أفضل من العين السابقة».

سخنت قطعة الجليد وبدأت تذوب. سالت الدموع على خدي الثعلبة. سارت الثعلبة وصادفت في طريقها الحيوانات من الثعالب والدببة. وكل من يقابل الثعلبة يسألها:

- ما لك تبكين أيتها الثعلبة؟ من أحزنك؟

أما الثعلبة فتقول:

- أنا جائعة ولذلك أبكي.

أشفقت الحيوانات على الثعلبة وأطعمتها. وهذا ما كانت تريده. وحتى الآن دائماً تأكل الثعلبة إلى أن تشبع لأنها ماكرة.

البط البري والثعلب

حكاية من الاسكيمو

ذات يوم كان الثعلب العجوز يمشي على شاطئ البحر ويفكر: «لا يوجد حيوان أذكى مني، لا يوجد حيوان أمكر مني». في هذه الأثناء كان سرب من البط البري يسبح في البحر، شاهد الثعلب فقرر أن يسخر منه. قال قائدهم:

- دعونا نصطف في صفين، نلصق أجنحتنا بعضها ببعض وسيظن الثعلب أنه قارب.

وهكذا فعلوا. اصطفوا في صفين، ألصقوا أجنحتهم ببعضها. يسبحون ويجدّفون وكأنهم يجدفون بالمجاديف، أما القائد فيصرخ:

- واحد- اثنان! واحد- اثنان! هيا معاً!

كان الثعلب ضعيف البصر بسبب عمره المتقدم. نظر إلى البحر فشاهد قارباً يسبح، يجلس فيه مجدفون يلوحون بالمجاديف في آن واحد. توقف الثعلب وصرخ:

- أيها المجدّفون، اقتربوا من الشاطئ، خذوني معكم في القارب. أم أنكم لا ترون من الذي يمشي على الشاطئ؟ إنه أنا، سيد هذه الأرجاء. ألا ترون أنني متعب؟

اقترب البط من الشاطئ. قفز الثعلب إلى القارب، جلس ونفخ صدره، نفش ذيله وأغلق عينيه نصف إغماضه من المتعة. ابتعد القارب عن الشاطئ بسرعة. فجأة سمع الثعلب صوت قائد البط:

- سبحنا واكتفينا، دعونا نطير الآن.

لم يكد الثعلب يثوب إلى رشده حتى وجد نفسه في الماء. نظر حوله فلم يجد حتى أثراً للبط. سبح نحو الشاطئ وهو يفكر: « لقد خدعني البط، جعل مني أضحوكة الشاطئ كله». كان الثعلب يسبح بصعوبة لأن ذيله المبتل يسحبه نحو القاع بثقله.

- آه يا ذيلي، آه يا زينتي!- توسل الثعلب.- لا تغرقني، ساعدني في الوصول إلى الشاطئ.

سمع الذيل الكلمة ووجه الثعلب نحو الشاطئ. بالكاد وصل الثعلب إلى الشاطئ، صعد التلة وبدأ يجفف نفسه في الشمس. أما البط فكان قد طار في هذه الأثناء فوق غابات التوندرا كلها وأخبر الجميع كيف سبح الثعلب في البحر.

نظر الثعلب حوله فرأى الحيوانات الصغيرة والكبيرة قد اجتمعت، تنظر إليه وتضحك.

- أخبرنا أيها الثعلب المحترم كيف حممك البط في البحر البارد؟

نفض الثعلب نفسه، أمسك بذيله المبلل بين أسنانه كي يسهل عليه الركض، وأسرع باتجاه التوندرا. ومنذ ذلك الحين لم يعد يطأ الشاطئ أبداً.

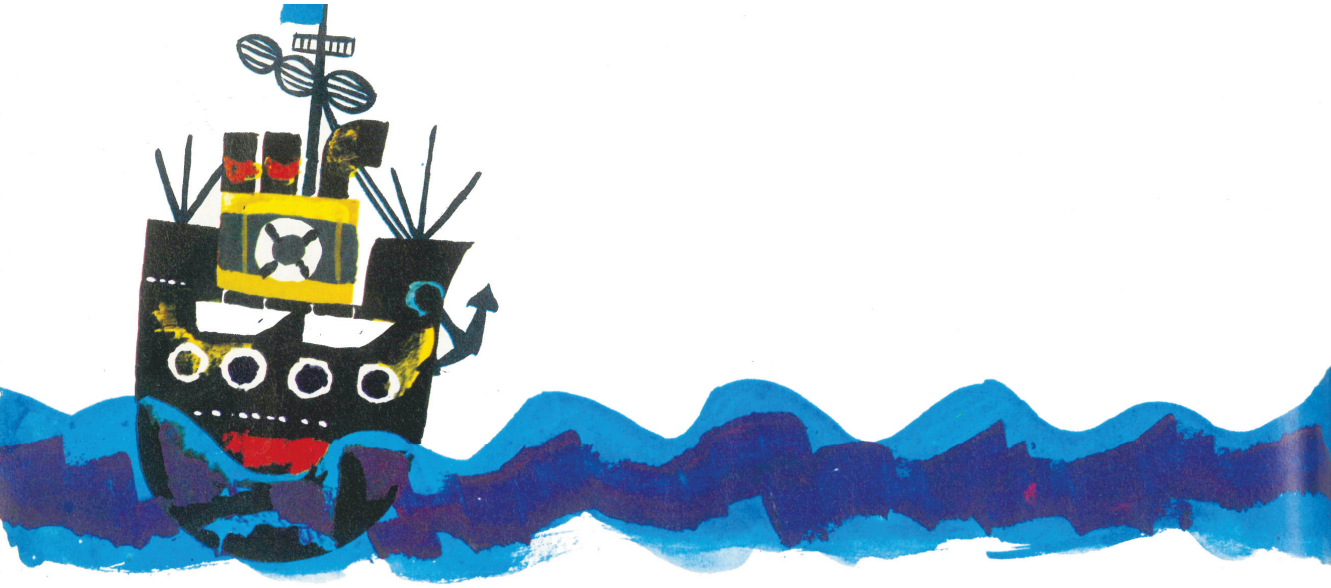

وصية ثعبان الماء

الرسالة السابعة والأخيرة

حين انطلقنا في طريق العودة، صادفت سفينتنا أسراباً من أسماك غريبة ذات أجسام متطاولة ومغزلية. كانت تتقدمنا نشيطة متوثبة، وكأنها طوربيدات حقيقية.

- إنها ثعابين الماء.- قال القبطان.- وهي مسرعة إلى وطنها مثلنا.

ساعدتني كلمات القبطان على تذكر قصة..

كان ثعبان الماء يعلم أن البحر ليس دافئاً أو هادئاً على الدوام، وأنه يثور أحياناً. ففي أيام مثل هذه تهبط السماء الداكنة حتى تكاد تلامس سطح الماء، يختفي الأفق ويمتزج كل شيء في عتمة رمادية كاملة. يزداد ارتفاع رؤوس الأمواج المزبدة، ويندفع البحر موجة إثر موجة إلى الشاطئ بصخب. يتراجع النهر عن المصب تحت ضغط المحيط الهائج، فيدخل ماء البحر في مجراه. وترفع الدوامات المائية الطمي المترسب في قاع المصب، ويتحول الماء الصافي إلى خليط عكر، تسبح فيه الأعشاب المقتلعة مع جذورها، والقش والطحالب المختلفة.

« مللت من سواد البحر الأسود،- قال ثعبان الماء لنفسه ذات يوم بانزعاج وعلى الفور تساءل: «قد يكون البحر الأبيض نظيفاً وأبيض. لا ضير في التأكد من ذلك بنفسي».

كان ثعبان الماء شاباً، محباً للاستطلاع كأي مخلوق شاب.

لم يكن يصدق كلام أحد، وقرر التأكد بنفسه. وهكذا انطلق إلى البحر الأبيض، أو كما يسمونه أيضاً بحر إيجة. سافر على امتداد الشاطئ كله الذي بدا له هادئاً بشكل غير عادي، ونعِساً بطريقة ما. لا ريح ولا موجة على سطح الماء، ولا حتى أدنى اضطراب للأمواج عند الشاطئ. كان البحر أملس كالبحيرة، نقياً صافياً، وعند مصبات الأنهار يوجد ما يكفي من الطعام.

إلا أن ثعبان الماء لم يطل البقاء هناك.

- هذا البياض والملل لا يحتملان! لا بد من أن البحر الأحمر مسلّ أكثر.- قرر ثعبان الماء وانطلق في رحلته دون تأجيل.

لم يكن ما يجذب ثعبان الماء الفضول فقط. فكأي مسافر أصيل كان يسعى للتعرف على العالم المحيط. وهذا الاهتمام هو الذي دفعه نحو الشواطئ الجديدة.

بدا البحر الأحمر أحمرَ بالفعل بسبب الصخور الشاطئية والكثبان الرملية. حتى قاعه المستطيل يعكس اللون القرمزي. إنما لم يكن في هذا البحر أي شيء يستحق الاهتمام.

- يبدو أن البحار الملونة لا تستحق فلساً في مقابلها!- هتف ثعبان الماء.- في هذه الحالة هل هناك فائدة من السفر إلى البحر الأصفر مثلاً، للتأكد فقط من أنه أصفرّ بسبب الطين الذي غسلته مياه «يانزا»؟

- بالطبع ليس هناك أية فائدة.- أجابت السلحفاة التي كانت تمر في الجوار، والتي ظنت أن السؤال موجه إليها.- بالمناسبة، عما تبحث؟

- عن بحر مثير للاهتمام.

- بحر مثير للاهتمام؟- اضطرت السلحفاة إلى أن تعصر كل تفكيرها رغم أنها مسنة كفاية وعمرها مئتا سنة تقريباً وشاهدت الكثير في حياتها.- الأكثر إثارة للاهتمام هو البحر الميت. فماؤه كثيف لدرجة أن لا أحد يستطيع الغرق فيه. ومالح جداً لدرجة أنه يكفي أن تغطس فيه لحظة ثم تستلقي في الشمس بضع ساعات حتى تتحول إلى سمكة مملحة. لذلك لن تجد فيه روحاً حية. في جميع الأحوال ستضطر لعبور الصحراء على قدميك كي تصل إلى هناك.

- مؤسف!- تنهد ثعبان الماء وشعر بالغيرة من الأفعى التي تزحف أينما تشاء وتتنفس الهواء.

لكنه سأل نفسه بعد برهة:

« هل هناك مبرر للشعور بالندم لأنني لا أستطيع زيارته؟ ما الأمر المثير للاهتمام في شيء ميت؟ يجب أن أبحث عن الإثارة في الحياة، وهذا يعني في أكثر البحار حياة. ولكن أين هو؟»

توجه ثعبان الماء بالسؤال للسلحفاة:

- ألا تعرفين من أكثر البحار حياة؟

- المتوسط.

- حُسم الأمر. سأسبح إلى هناك، إلى اللقاء.- هتف ثعبان الماء، حرك ذيله ورغم عدم امتلاكه زعانف، انطلق إلى الأمام كالسهم.

لم يكن ينظر إلى العالم من وجهة نظر سائح لا مبالٍ، بل بنظرة جدية متفحصة خاصة بمستكشف. « بما أن البحر المتوسط أكثر البحار حياة، فلا بد أن الحياة فيه نشيطة». وتوجه إلى منتصف البحر المتوسط تماماً.

حين أصبح في مكان ما بين صقلية والشاطئ الإفريقي، غطس ثعبان الماء. كان يريد استكشاف البحر بتعمق كبير. لكن كلما تعمّق ازداد المكان ظلمة حوله. وأخيراً غرق كل شيء في ظلام دامس، ولم يعد يرى سوى أسماكاً مخيفة تضيء بشكل غريب. شعر ثعبان الماء بخوف حقيقي وأسرع بالصعود إلى السطح، ولم ينس رغم ذلك أن يجد مبرراً لنفسه.

« أكان من الحكمة التعمق حتى أقاصي القاع؟ لا. ما كنت لأستكشف أو أعرف شيئاً هناك. هدر للجهد لا فائدة منه. يجب أن يأتي كل اكتشاف بالفائدة على كائن ما. وبالدرجة الأولى علي. ما الذي سيفيدني أكثر؟ بالطبع عليّ اكتشاف بحر أكثر مناسبة لي، رائع بشكل حقيقي، يمكنني أن أسكن فيه وأعيش بسعادة».

وكي يتأكد نهائياً من صواب رأيه، سأل الثعبان أول سمكة سلمون صادفها:

- أخبريني إلى ماذا تسعين؟ وبماذا تحلمين؟

- لا أفهمك..

- أريد أن أعرف ما جوهر الحياة بالنسبة لك. ما الذي يثير اهتمامك. ماذا تريدين؟

- ماذا أريد؟- هتفت سمكة السلمون بحيوية.- أريد أن أعثر على مكان هادئ يمكن العيش فيه بحرية دون هموم.

- أشكرك فأنا أفكر بذات الطريقة. لست مخطئاً إذن.- حرك ثعبان الماء ذيله بفرح.- إلى اللقاء.

- إلى أين؟

- للبحث عن أفضل بحر، أريد أن أسكن فيه.

- لكنك لن تجد أفضل من بحرنا. فالطعام هنا وفير والدفء..

- الدفء تحديداً هو ما لا يعجبني. سأبحث عن سعادتي في بحار أكثر برودة. في الشمالي مثلاً..

أخيراً وجد ثعبان الماء هدفاً يمكنه أن يكرس له حياته بأكملها. وانطلق في البحار والمحيطات يبحث عن أروع بحر..

لم تعجبه البحار الشمالية. فالدم يتجمد من البرد، وغالباً ما يغطي ضباب كثيف الماء، وتخرج منه فجأة دون سابق إنذار جبال جليدية وكأنها سفن بيضاء كبيرة تخيف ثعبان الماء. لم تعجبه المحيطات أيضاً بسبب الأمواج العملاقة بارتفاع منزل ذي طابقين والوحوش المفترسة، المسلحة بالسيوف والمناشير والمطارق وبصفوف ثلاثية من الأسنان. في كل مكان كان هناك شيء لا يعجبه، واستمر ثعبان الماء بالسفر على الطرقات المائية. الأمواج تقذفه، التيار يجرفه، الأعداء يطاردونه.. هرم ثعبان البحر تماماً. وبما أن لكل شيء في العالم نهاية انتهى تشرد ثعبان الماء أخيراً. فقد فَقد قواه الأخيرة في بحر سارغاسا قرب جزر برمودا.

كان بحراً خرافياً، دافئاً وهادئاً. ماؤه صاف وأزرق وكأن هناك من حلّ فيه الكثير من النيلة. الأعشاب البحرية السميكة تتمايل عند السطح تقريباً وتهبط سيقانها إلى عمق عشرة أمتار تقريباً، تتهدل أوراقها العريضة وتشكل غابات كثيفة. تسند الفقاقيع الملونة المملوءة بالهواء النبات في الماء وكأنها بالونات لصغار السمك. لكن الألعاب وصغار السمك والطعام، كانت أخر ما يشغل تفكير ثعبان الماء. كانت نهايته قريبة وعليه أن يستخلص النتيجة من حياته كلها.

كيف مرت؟ في البحث عن أنسب وأروع بحر، حلم أن يسكن فيه كي يعيش بسعادة. فهل وجد هذا المكان؟

أغلق ثعبان البحر عينيه لحظة فرأى أمامه الشاطئ البعيد لبحر بلاده، حيث مصبات الأنهار الهادئة والرملية، ذات المجاري الجميلة التي ينبت عليها

الصفصاف، وتويجات الزنبق المائي الرقيقة، ونسمات الريح المسائية وحفيف الأمواج. وهنا تيقّن أنه هدر حياته كلها في البحث عما تركه بإرادته، الوطن الذي رفضه.

- أيها الأولاد،- همس ثعبان الماء وهو يبذل آخر جهده.- أستحلفكم، عودوا إلى بحار بلادكم! وأعلموا أنكم لن تجدوا أفضل منها في العالم كله. وقبّلوا عوضاً عني أرض بلادنا.

ومات. لكن بقيت وصيته. ومنذ ذلك الحين، ما إن تخرج ثعابين البحر الصغيرة من بيوضها في بحر ساراغاسا، حتى ينطلق الصغار على الفور في رحلة بعيدة وهم مازالوا مسطّحين كالأوراق، يعبرون المحيط وعشرات البحار كي يصلوا إلى شواطئ بلدهم ويقبلون أرضهم الحبيبة.

هذه وصية ثعبان البحر.

نرسو لنقول وداعاً

لا بد أنكم حزرتم أننا سبحنا طويلاً على امتداد شواطئنا الحبيبة في مياه البحر الأسود. مررنا على أحد الموانئ حيث أفرغنا فيه الحمولة المخصصة له. وأخيراً انطلقت سفينتنا بأقصى سرعتها إلى مدينتنا في أرض الوطن.

من بعيد ظهر الرأس الصخري المرتفع، الداخل في البحر وعليه انتصبت منارة تشبه قطعة من قلم الرصاص. ثم شاهدنا أمامنا الخليج بأكمله والشواطئ الغارقة في الكروم، وخطاً من الرمل الذهبي على امتداد الشاطئ مع مئات الأبنية الرائعة البيضاء على خلفية خضراء وكأنها فراشات. أصبح رصيف الأمواج

المبني من الحجارة الرمادية أكثر وضوحاً، وكذلك مداخن وصواري السفن عند المرسى، وأذرع الروافع التي تذكّر بلقالق عجائبية ذات مناقير معدنية.

وصلت سفينتنا إلى المرسى. وفي الأسفل، على الرصيف، كان هناك بحار صغير يقفز نافذ الصبر دون أن يبعد عينيه عن برج القيادة ويلوح لنا بإحدى يديه، بينما تمسك أمه بقوة بيده الأخرى. لوحنا له نحن أيضاً، ما كنا نطيق صبراً حتى نصبح على الشاطئ في أسرع وقت.

وما إن أنزلوا الجسر حتى اندفعنا نعانق ونقبّل المستقبلين ونحن نكاد نطير من الفرح. وكيف لا؟ فلثلاثة أشهر كاملة بقينا نمخر البحار والمحيطات. في أثناء ذلك طال «ديمي» مقدار أربعة أصابع على أقل تقدير، أما بنطال البحارة خاصته فبدا وكأنه صار أقصر. أصبح يشبه بحاراً حقيقياً. بسرور كبير أعطيته مصنفاً سميكاً يحتوي على القصص البحرية على أمل أن يتوقف لبعض الوقت عن إزعاج والديه والمعارف بإلحاحه على أن يقصوا عليه حكاية.

وأنتم يا أولاد؟ ألم تكفوا عن مضايقة الجميع بطلبات مثل هذه؟ هل أعجبتكم حكايا البحر؟ لا أعتقد أنني سأعرف ذلك، لأننا ما أن رسونا عند شاطئ بلادنا حتى اضطررنا إلى وداعكم.

إذن، حتى رحلة بحرية جديدة.

الفهـــرس

القصة	الصفحة
الثروات التي وصلت إلى القوافل إلى شواطئ آسيا الصغرى	
الصبي السعيد	٩
القوقعة السحرية	١١
ابنة الصياد	١٥
الأرنب المحظوظ	٢٧
كيندزو المنتصر	٣٩
بونيا وأسماك القرش	٥٣
القوقعة السوداء	٥٨
سمكة صغيرة وبحر كبير	٦٢
أمواج البحر المتوسط تهمس	
الأمير السرطان	٦٩
كولا- السمكة	٧٦
ملاح من بولونيا	٨١
المورغان على جزيرة أويسان	٩١
الغالي الصغير	١٠٠
المحيط والقمر	١٠٥
يحكي سكان شواطئ المحيط الأطلسي	
بحر ويلز المالح	١١١
الفقمة ماك- كودرام	١١٩
قوقعة الوفرة	١٢٥

القصة	الصفحة

ملكة البلطيق ١٣٠
غريم وروح الماء ١٣٣
حاكمة البحر ١٣٥
المملكة البيضاء ١٤٣
الصراع الدائم ١٥٢

حكايا أراضي البلطيق والشمال السوفييتي

العقدة المُحرمة ١٥٧
نيرينغا وناغليس ١٦٧
العروس البحرية ١٧٤
الثعلبة الماكرة ١٨١
البط البري والثعلب ١٨٥
وصية ثعبان الماء ١٨٧
نرسو لنقول وداعاً ١٩٣

الطبعة الأولى / ٢٠١٤ م

عدد الطبع ٢٠٠٠ نسخة

الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة
www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤م

سعر النسخة ؟؟؟ ل.س أو ما يعادلها